روايات
عالمية
للفتيان

عائلة روبنسن السويسرية

تأليف : جوناثان ويس

ترجمة شفيق مهدي



عائلة روبنسن السويسرية
ترجمة : شفيق مهدي
الطبعة العربية الاولى ١٩٨٧

الناشر: وزارة الثقافة والاعلام / دار ثقافة الاطفال
ص.ب ٨٠٤١

سلسلة نصوص عالمية
تصدر عن قسم البحوث والنشر في دار ثقافة الاطفال

عائلة روبنسن
السويسرية



سفينة بين الصخور

استمر هبوب العاصفة ستة ايام متواصلة . لم يكن القبطان يعرف أين المكان بالضبط . كل من في السفينة ، ظن انه هالك لامحالة .. انشدّ حولي زوجتي واولادي الفتية الأربعة .. قلت مطمئناً اياهم:

– ياأحبتي .. سينجينا الله .

وفجأة سمعت صرخة عالية: «الأرض! الأرض!» ولم نشعر إلاّ والسفينة ترتطم بالصخور ، والأمواج تغطينا .. قال القبطان:

– لم يعد لنا أمل .. انزلوا الى زوارق الى النجاة .

– لا أمل! لاأمل!

صرخ اولادي ، ورموا أنفسهم باحضاني ، فقلت لهم:
– تشجعوا ياأولادي ، تشجعوا . الأرض ليست بعيدة .. نحن الآن على واحدة من الجزر الصغيرة الموجودة في هذه الاجزاء.. لقد شاهدتها على الخارطة .. وان الله سيرشدنا الى طريق النجاة .. هيا تشجعوا . .. سأصعد الى الأعلى ، لأرى مااستطيع عمله . صعدت الى اعلى السفينة أذهلتني المفاجأة ؛ رحلت الزوارق ولم يبق أحد في السفينة سوانا! لقد نسونا! نظرت حول السفينة.. التي انحشرت مقدمتها بين صخرتين ، فصرنا أعلى من مستوى الماء .. عدت لعائلتي ، وقلت:
–كل شيْ على مايرام .. ارتفع جزء من السفينة فوق سطح الماء.. .. ستخسر الأمواج غداً ، ونستطيع الوصول الى اليابسة

جاء المساء .. جهزت زوجتي العشاء ، فتناولناه ، وذهب الأولاد الى النوم . بقيت أنا وزوجتي نحرس .. حتى الصباح ، فخفت حدة الأمواج ، ثم اختفت .. اما السماء فكانت زرقاء صافية .. واليابسة لم تكن بعيدة .. قلت:
– والآن ياأولادي، لندر حول السفينة ، لعلنا نعثر على اشياء تساعدنا في الوصول الى اليابسة .. لنفترق الآن .. وهذا هو مكان لقائنا . احضروا أي شيْ ترونه مفيداً.

ذهبت الى المخزن ، لأرى الموجود من الطعام والماء . أحضر أكبر أولادي «فرتز» بنادق وباروداً واطلاقات . أما ابني الثاني

«أرنست» فقد وجد صندوق عدد به مطرقة وعدد كبير من المسامير ، ومناشير وسكين كبيرة ، وسكاكين صغيرة ، واشياء أخرى .. كان الصندوق ثقيلاً ، فساعده «فرتز» على حمله .

كما أن ابني الثالث «جاك» ذهب الى غرفة القبطان ، وعندما فتح بابها ، قفز كلبان ضخمان ودودان ، جلبهما معه .. ثم جاءت زوجتي وقالت :

– وجدت بقرة ، وحماراً ، وعنزتين ، وخروفين ، وعدداً من البط والدجاج .

– اشياء مفيدة حقاً ، عدا الكلبين .. لأنهما سيحتاجان الى طعام كثير ..

فقال «جاك» :

– لكنهما سيساعداننا على الامساك بالحيوانات البرية ، عندما نصل الى اليابسة .. سندربهما على الصيد !

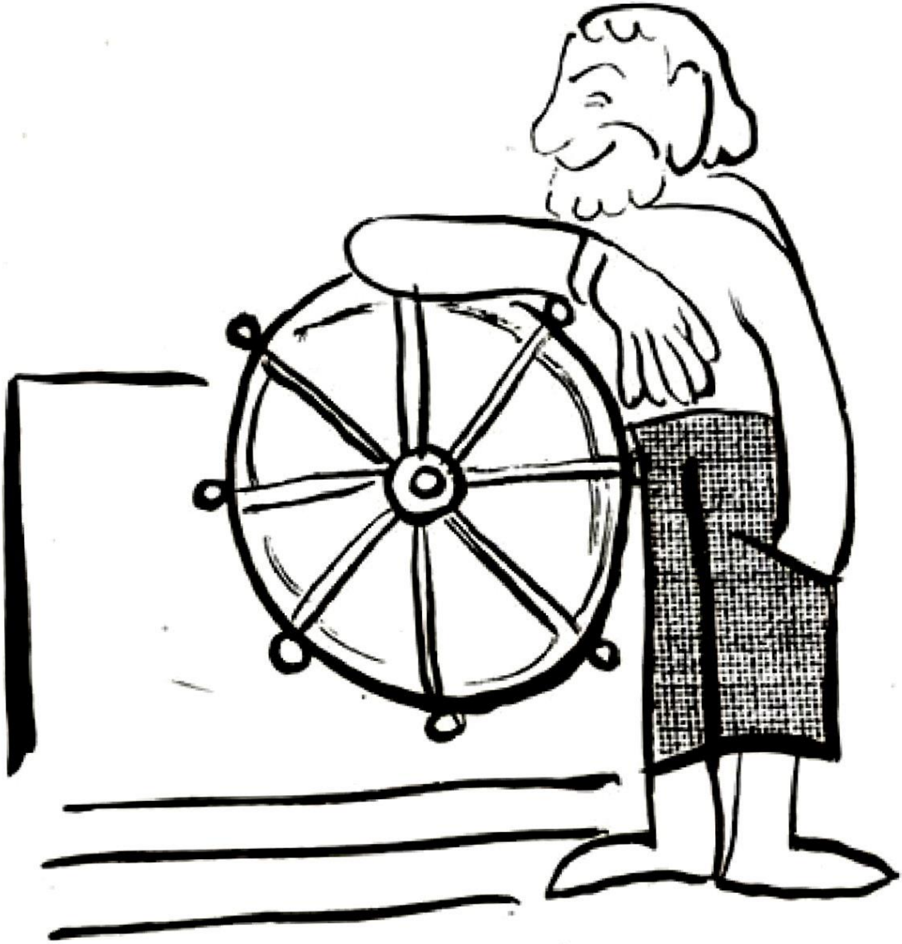
قلت :

هذا صحيح ، لكننا لم نصل اليابسة بعد .. الاجدر بنا ان نفكر بطريقة نصل بها الى هناك ... علينا ان نصنع زورقاً .. احضروا عدداً من البراميل ، والواح خشب طويلة .

انهمكنا في العمل فصنعنا صارية وشراعاً .. وفرحنا عندما وجدنا عدداً من المجاديف .. هنا تساءل «فرتز» :

– كيف سننزل الزورق الى الماء ؟

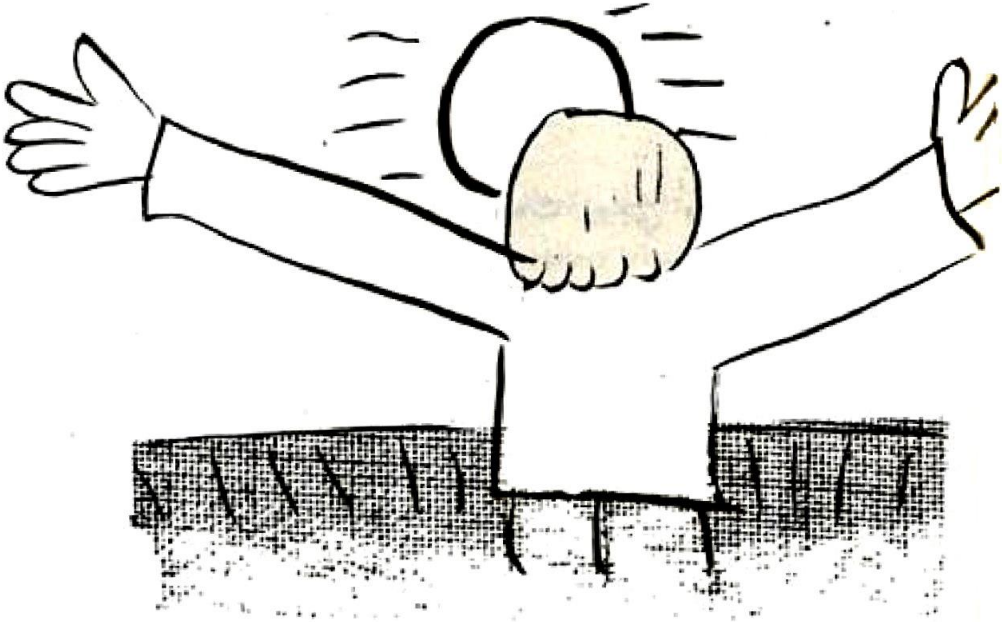
– سنضع تحته بعض البكرات يابني ، فسيتدحرج وينزل الى



البحر .

أصبح كل شيء جاهزاً أخيراً ربطنا زورقنا بحبل كبير.. وربطت نهايته في السفينة ، لكي لاينحرف بعيداً ، ثم تناولنا عشاءنا، ونمنا نوماً هادئاً ، .

• • •



الوصول الى اليابسة

استيقظنا عند شروق الشمس.. ناديت على الاولاد :

– هيا ياأولاد .. لنطعم الحيوانات . آمل ان نستطيع العودة اليها وانقاذها .. اجمعوا الاشياء التي تفيدنا على الأرض .

أخذنا البنادق والبارود والاطلاقات .. وحمل كل واحد منا حقيبة مليئة بالطعام ، ثم أخذنا أيضاً بعض الاواني ، ومطرقة ومنشاراً ، ومسامير وسكاكين وفؤوساً مختلفة الاحجام ..

أخذنا كذلك قماش شراع لنصنع منه خيمة وشراعاً .. الحزن ظهر واضحاً على الدجاج ، فأخذناه معنا.. قلت :

– البط يسبح ، وكذلك الكلبان .. سناخذها معنا .

في الدقيقة الاخيرة، جاءت زوجتي وهي تحمل حقيبة كبيرة ، لم اسألها عنها .

دار الزورق حول نفسه ، في بداية الأمر ، غير انني استطعت ان أقوده الى اليابسة بسلام .. صرخ «فرتز» عند اقترابنا من الشاطئ :

– انظروا ! اشجار جوز الهند ! سنأكل ثمار جوز الهند اللذيذة !

كانت البطات تسبح باتجاه خليج صغير ، فقلت :

– سأتبعها .. انها تعرف أفضل طريق يوصلنا الى اليابسة .

قادتنا البطات باتجاه مصب نبع ، يصب في خليج صغير. وثب الولدان الكبيران الى الارض .. ثم ساعدا «فرانسيس» ابني الاصغر ، على النزول ، ثم بدأنا بانزال محتويات الزورق . فاطلقنا سراح الدجاج .. قطعت عدداً من الاغصان الطويلة ، وصنعت منها أوتاراً ، ثبتها على الارض ، ووضعت فوقها قماش الشراع ، فصنعت منها خيمة .. قلت للأولاد :

– احضروا حشائش جافة ، نصنع منها فراشاً ننام عليه .

بينما كان الاولاد يعملون ، احضرت عدداً من الحجارة الكبيرة ، صنعت منها موقداً للنار .. واشعلت ناراً لاهبة ، مستخدماً الخشب الجاف الذي جلبناه من الشاطئ . احضرت زوجتي قدراً من ماء الينبوع ، ووضعته فوق النار .. وساعدها «فرانسيس» في طبخ طعام لنا . تناول

«فرتز» بندقية ، وانطلق بمحاذاة ضفة النهر .. وذهب ارنست بمحاذاة الشاطئ ، اما «جاك» فقد ذهب ليجمع المحار . وذهبت انا لاحضر المزيد من حمولة الزورق .. وفجأة سمعت «جاك» يصرخ . تناولت فأساً واسرعت لنجدته .. شاهدته في الماء ، واقفاً الى حد ركبتيه .. صرخ قائلاً :

– تعال الى هنا ياابي .. تعال بسرعة ! امسكت بشئ كبير حقاً !

– اجلبه الى هنا إذن !

– لا أستطيع ياأبي ! في الحقيقة أنه يمسك بي هو !

ضحكت ، وخلصت «جاك» من محارة كبيرة كانت تمسك به ، وخرجنا من الماء ، فشاهدنا ارنست يسرع نحونا قائلاً :

– وجدت اشياء تصلح للأكل ! محارات كثيرة ، لكنها ملتصقة بالصخور ! وسنحضرها فيما بعد .. بعد تناول الطعام ، فأنا جائع !

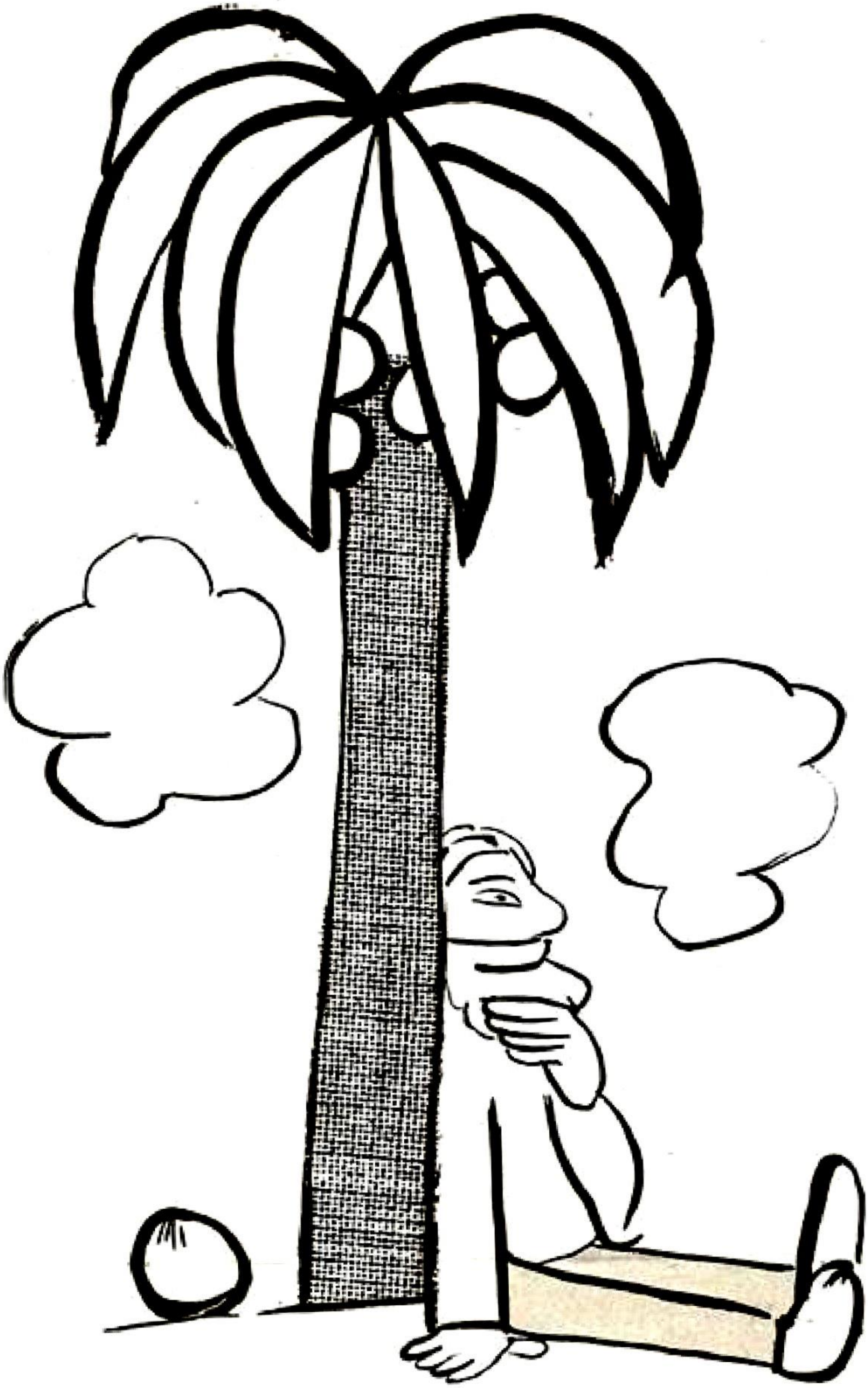
• • •

قالت زوجتي :

– الطعام جاهز ، ولكن علينا ان ننتظر «فرتز» .

ثم نظرت الى قدر الطعام ، وقالت :

– ولكن كيف سنأكله ؟ لانستطيع وضع ايدينا فيه ! كما اننا لانستطيع تناول هذا «المرق» بالسكاكين ! اننا نحتاج الى



ملاعق !

قال «ارنست» :

–جاء دور المحار ! ليجئ معي أحد لنحضر المحار .. فهو سينفعنا .

ذهب «جاك» مع «ارنست» .. وبعد قليل جاء «فرتز» وهو يبدو حزيناً .. فسألته :

– مابك يابني ؟ الم تصطد شيئاً ؟

قال بحزن : لا !

– لقد اصطاد شيئاً ! انه يخفيه خلفه !

صرخ «فرانسيس» الذي ذهب الى خلف «فرتز» الذي ضحك وأرانا مااصطاده ، وتساءل :

– ماهذا الحيوان ياابي ؟ انه يشبه الخنزير . رأيته يتحرك بين الحشائش .. راقبته ، فرأيته يحفر الأرض أحياناً بحثاً عن الطعام .. وهنا جاء «ارنست» يتبعه «جاك» ومعهما محارات .. قال «ارنست» .

– ارنا اياه .. نعم .. نعم .. اظن انني شاهدت صورة له في كتاب .. في الحقيقة انه حيوان اسمه «الاكوتي»[1] .

أنت على حق يا بني.. انه (الاكوتي) وهو يعيش في حفر، في الاشجار.. ولحمه لذيذ جداً .

كان «جاك» يحاول فتح محارة بسكين ، فلم يستطع ، فنظر الي متسائلاً ، فقلت له :

– ضعها قرب النار .. ستنفتح من غير صعوبة .

جلسنا لتناول الطعام . اكلنا المحار اللذيذ اولاً ، لنستطيع استخدام أصدافه بدل الملاعق .. قالت زوجتي :

– نحتاج الى صحن كبير .. ماذا نفعل ؟

قال «ارنست» :

– عندي صحن .. يوجد الكثير مثله على الشاطيء ..

وأرانا صدفة كبيرة جداً .. سكبنا فيها المرق ، وبدأنا نأكل .. وفجأة رأيت «فرتز» يثور غضباً ، عندما رأى الكلبين يقتربان من طريدته التي اصطادها وهما يأكلها ، فضربهما بالبندقية ، بقوة ، لدرجة انه كسر جزءً منها ، فقلت له :

– انك الابن الأكبر يا «فرتز» والبقية صبية صغار .. يراقبون ما تفعل ، ويقلدونك .. انك بهذا تعلمهم الغضب من غير سبب ، وايذاء الحيوانات التي لم ترتكب خطأ ..

– آسف ياأبي .. آسف !

أخذ «فرتز» قطعة من الخبز وغمسها بالمرق، واتجه نحو الكلبين وراح يطعمها .

بدأت الشمس تميل نحو الغروب ، عندما انتهينا من تناول طعامنا .. فتحت زوجتي الحقيبة التي احضرتها من السفينة . ومدت يدها ، واخرجت منها قبضة ، راحت للدجاج .. انها ذرة ! ذرة !

– توقفي ياعزيزتي .. توقفي ! لقد احضرت لنا شيئاً في غاية

الاهمية . يجب ان لا نفرط بحبة واحدة منه ! سنزرعها ونحصل على الكثير منها ، فنصنع الخبز ونطعم الدجاج . اطعميه الآن شيئاً آخر .

صعد الدجاج الى اعلى الخيمة .. وذهب البط لينام بين الحشائش الطويلة التي تنمو على حافة الينبوع. ملأنا بنادقنا ، ووضعناها بجانبنا ، ودخلنا الخيمة .





اشياء مفيدة

ايقظنا صياح البط والدجاج منذ الصباح الباكر .. قلت :

– الشيء الاول الذي نفعله ، هو استكشاف الجزيرة ، لنرى ان استطاع أحد البحارة الوصول اليها .

– لا أظن اننا سنذهب جميعاً .. خذ معك «فرتز» وسابق انا هنا مع البقية .

– هذا الرأي صحيح يازوجتي العزيزة .. سآخذ الكلب «ترك» معي . اما الكلبة «فلورا» ، فابقيها معكم .

زودتنا زوجتي ببعض الطعام ، وانطلقنا .. ذهبنا الى الساحل ، ورحنا نسير بمحاذاته ، ننظر الى الرمال ، لعلنا نرى

آثار اقدام ..

غير اننا لم نعثر على اي اثر .. قال «فرتز»:

– هل اطلق النار يا أبي؟ اذا كان احد قريباً ، فسيسمعنا ويأتي الينا .

– ولكن قد يسمعنا آخرون .. قراصنة مثلاً .. سنفقد حياتنا .

ابتعدنا عن الساحل .. وبعد مسيرة قطعنا فيها حوالي كيلو مترين ، وصلنا الى غابة صغيرة .. وفي كل خطوة نخطوها ، كنا نرى نباتاً جديداً جميلاً ..

فتساءل «فرتز»:

– نباتات غريبة وجميلة .. ولكن ما هذا النبات الغريب؟ ما هي هذه الاشكال الغريبة التي تنمو عليه؟

– هذا النبات مفيد جداً يابني .. انه القرع .

أخذنا بعض القرع وفتحناه .. قلت:

– لنخرج اللب الناعم الذي في داخله ، ونترك القشور لـ تجف في الشمس .. ومن القشور الجافة نستطيع صنع قدور طبخ واواني مختلفة الاشكال وملاعق .. هكذا كان الناس يصنعون ادوات الطبخ ، قبل معرفة المعادن .

– لا افهم يا ابي هذه النقطة : كيف يمكن وضع قدر القرع على النار؟ انه سيحترق طبعاً!

لا لا يابني .. انهم لا يضعون القدر على النار .. كانوا يملأون قدر القرع بالماء ، ويضعون حجارة ساخنة . فيه فيغلي الماء ، .

ويطبخون الطعام فيه .

صنعنا ما نحتاج اليه من اوان وملاعق وقدور .. من القرع . ووضعناها لتجف . تحت اشعة الشمس .. ووضعنا اشارة لنستدل بوساطتها على المكان ..

عدنا نسير من جديد . حتى وصلنا الى أرض مغطاة بحشائش طويلة . تعلو رؤوسنا .. فكرت مع نفسي : «ترى» اين شاهدت مثل هذه الحشائش؟ في صورة ما؟

بل انا نشق طريقنا عبر هذه الحشائش الطويلة ..اصبحت ايدينا لزجة . جداً .. وضعت يدي في فمي متذوقاً اياه . ثم قلت فرحاً :

– «فرتز» .. اصنع فتحة في احدى هذه الحشائش وتذوق اللب الذي في داخلها .

فعل «فرتز» ما قلته له . فقال :

– انه حلو .. كالسكر!

– انه سكر يا «فرتز»! انه قصب السكر الذي نستخرج منه السكر! لنأخذ بعضاً منه معنا لندهش به الاخرين ونفرحهم .

عدنا نسير .. شاهدنا الكثير من اشجار جوز الهند .. وعندما اقتربنا منها شاهدنا عدداً كبيراً من القردة على الارض . غير انها هربت مسرعة تتسلق الاشجار . وهي تزعق محدثة ضوضاء عالية في وجوهنا ..

رفع «فرتز» بندقيته ، فصحت به :



– قف! لماذا تريد قتل احدى من هذه القردة؟

– لانها تحدث اصواتاً مزعجة تقرفني! انها عديمة النفع.

– ربما انها تضحك عليك! لماذا تغضب عندما يضحك أحد عليك؟ انها محقة في الضحك على صبي غاضب .. ثم من قال لك انها عديمة الفائدة؟

– وكيف يكون القرد مفيداً؟

جمعت عدداً من الحجارة .. رميتها على القردة ، فرمتني بثمار كثيرة من جوز الهند . قلت وانا اجمع أجودها :

– أرأيت كيف يكون القرد الغاضب نافعاً؟

– اكثر نفعاً من ولد غاضب! غير انني لست غاضباً الآن يا أبي ..

دعني أحمل عنك الثمار .

عندما اقتربنا من بعض الاشجار ، اندفع «ترك» أمامنا ،فسمعنا صراخ ألم وغضب من القردة التي تسلقت الاشجار .. وعند اقترابنا اكثر ، شاهدنا الكلب وهو يمسك واحداً منها .. ركض «فرتز» لينقذه ، لكنه وصل متأخراً ، فقد نفق[1] كان يقف بالقرب منه ، قرد صغيرة وهو يرتعد من الخوف؟ وفجأة حدث شيء غريب؟ فقد القرد الصغير على ظهر «فرتز» وامسك بشعره ، فصرخ «فرتز» :

– ابعده عني يا أبي! ابعده!

– لن ابعده يابني . لقد فقد امه ، فاتخذك والداً له! نعم .. انه يحبك ، فارعه!

انتزعت القرد الصغير من ظهر «فرتز» . وحملته بين ذراعي كطفل صغير :

– ماذا سنفعل به يا «فرتز»؟

– لناخذه الى البيت .. وسارضعه حليباً من البقرة الموجودة في السفينة ، وسيكبر بسرعة ، ويتعلم كيف يجد طعامه بنفسه ..

ولآن يا «ترك» ..

قتلت ام هذا المسكين . فيجب ان تساعدني على تربيته ..
ساعلمه كيف يركب على ظهرك .

° ° °

استقبلتنا العائلة استقبالاً لطيفاً . وفرحوا عندما شاهدوا القرد الصغير . ثم نظروا الى قصب السكر . تساءلوا :

– ما هذه العصي؟

– انها لكم .. لتأكلوها!

اجاب «فرتز» .. وانطلقنا نحو الخيمة . فوجدنا طعاماً لذيذاً جداً بانتظارنا! العديد من انواع السمك المشوي .. وكان هناك طائر ما يزال يشوى .. ان «فرانسيس» اصطاد السمك . و «ارنست» اصطاد الطائر .

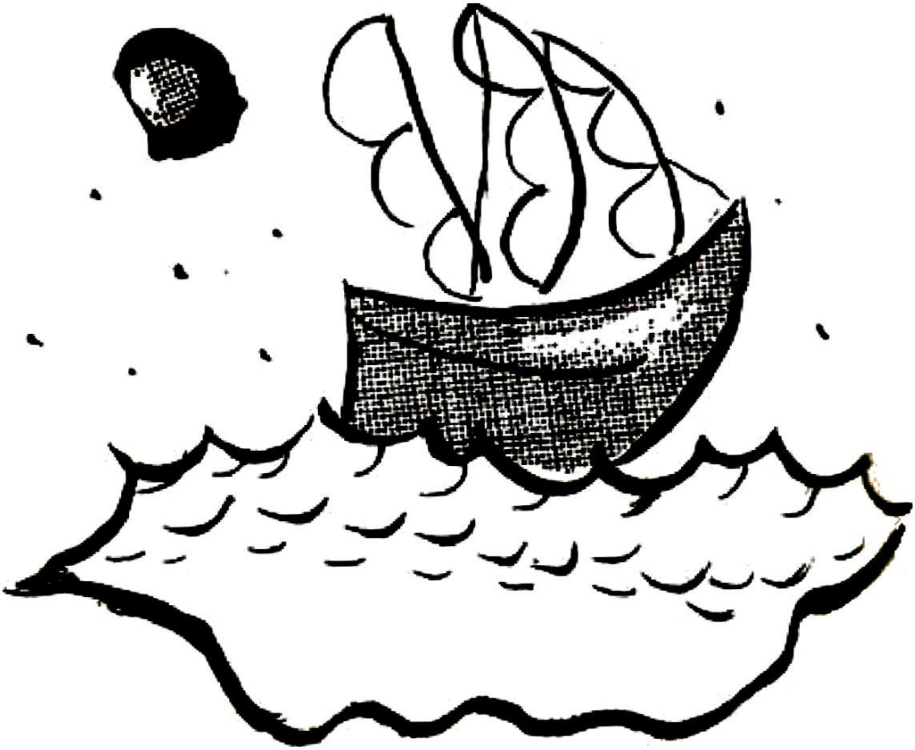
– لست ادري اي نوع من الطيور هو .. غير انه احمق إذ جعلني اقترب منه واضربه بعصاي .

كان السمك لذيذاً . لكننا لم نستسغ طعم الطير .. لانه لا يختلف عن طعم السمك .. عندما انتهينا من تناول الطعام . كانت الشمس تنحدر نحو المغيب ..

صعد الدجاج فوق الخيمة . وذهب البط الى الحشائش النابتة حول النبع ..

واخذ «فرتز» القرد معه الى الفراش .

° ° °



العودة الى السفينة

بعد استيقاظي ، ناديت زوجتي قائلاً :

– هناك اشياء كثيرة يتحتم انجازها .. من الصعب معرفة انجاز اي واحد منها اولاً . قالت :

–اول شيء تفعله يا عزيزي ، هو ان تجلب الحيوانات من السفينة ..

خذ «فرتز» معك ، وسنذهب نحن لنفتش عن مكان نبني فيه بيتاً .

سألني «فرتز» :

- كيف سنصل الى السفينة ؟ الريح ساعدتنا على الوصول الى اليابسة ، غير اننا لن نستطيع ان نسيّر الزورق ضد الريح

- الريح تتغير يا بنيّ .. سننتظر حتى المساء ..عندما جئنا الى اليابسة ، كان الوقت عصراً . اليابسة كانت حارة ، لذلك كان الهواء يرتفع من اليابسة ، بينما كان الهواء البارد يهب من البحر باتجاه اليابسة .

اليابسة تحصل على الحرارة وتفقدها بسرعة اكبر من البحر ، لذلك يكون البحر اكثر حرارة من اليابسة ، فتهب الريح من الارض الى البحر .. هل فهمت ؟

- اجل يا ابي .. ان جريان النهر سيفيدنا ..

- نعم .. في الجزء الاول من رحلتنا .

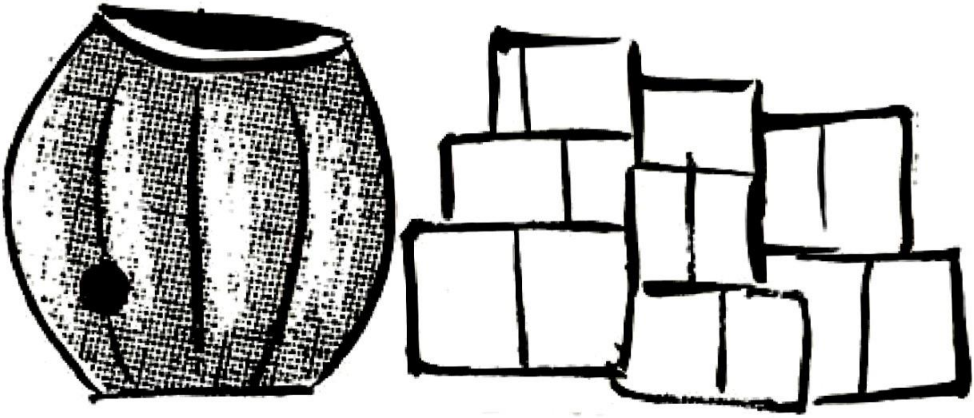
نظرت نحو زوجتي قائلاً :

- سنذهب متأخرين .. ونبقى في السفينة طول الليل .. دعي «ارنست» يتسلق شجرة ، ويربط بها قطعة قماش ، واذا حدث اي خطر ، انزلوها .

- وانت عليك ان تشعل ضوءاً ، فاعرف انكم بأمان .

انتظرنا حتى حل المساء ، حيث وصلنا الى السفينة بسهولة . كانت الحيوانات في صحة جيدة ، وتناولت طعاماً كافياً . اشعلت ضوءاً كما وعدت زوجتي . ثم تعشينا وذهبنا لننام . استيقظنا مبكرين ، وقضينا بعض الوقت في جمع ما يفيدنا ..





قال «فرتز» :

– لنأخذ كمية كبيرة من البارود وخراطيش الصيد ، لنكون بمأمن الحيوانات المتوحشة ، وغيرها ، ثم سنحتاج الى ...

– علينا التفكير في الحاضر يا بني ، ما الذي سنحتاج اليه لهذه الايام ، والاسابيع القادمة .. نحتاج الى قماش اكثر ليساعدنا في بناء بيت ..

وعلينا ان نفكر بالطعام .. ما نوع الطعام الذي في السفينة ؟

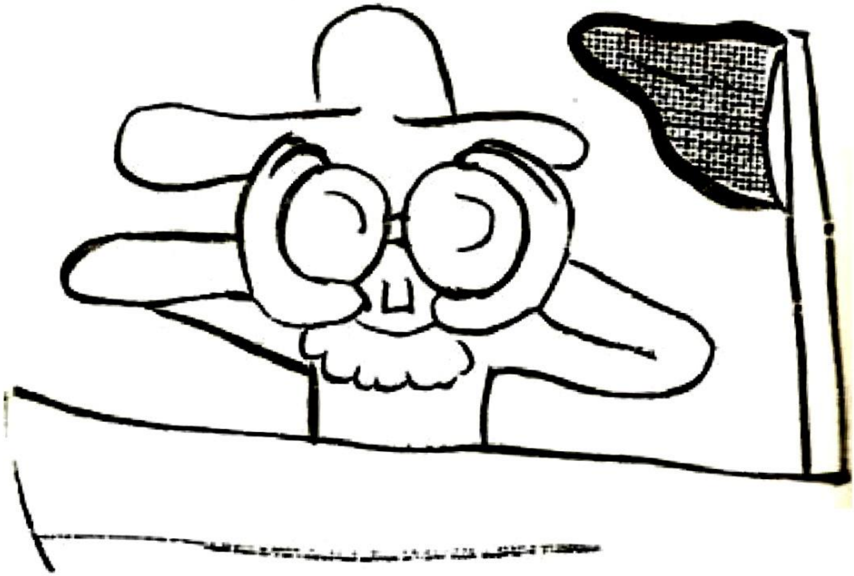
– شاهدت برميل زبد ، وخبزاً ولحماً مملحاً ، إذا لم تصله مياه البحر ..

ولكن ماذا سنفعل اذا نفد الخبز وفسد الزبد ؟

– لنفكر في الحاضر يا بني ، فلدينا الكثير من المشاكل .. كيف نفكر بالمشاكل التي ستحصل لنا ، وربما ستنقذنا سفينة قريباً ؟

لكنني كنت مخطئاً .. علينا ان نستعد لأي شيْ ، فشعرت بعدها بندم شديد لانني لم اجلب اشياء كنا بامس الحاجة اليها . انقضى النهار ، وكان علينا قضاء ليلة اخرى في السفينة

° ° °



كيف اخذنا الحيوانات الى اليابسة

استيقظنا متأخرين ، صباح اليوم التالي . وقد جهز «فرتز» بعض الفطور . في حين عثرت على مقراب القبطان ، فنظرت به ناحية الخيمة ، حيث شاهدت زوجتي وهي تنظر باتجاه السفينة . اطفأت الضوء ووضعت علماً ابيض ، لأطمئنها على انني و«فرتز» في احسن حال .. قلت لـ «فرتز» ونحن نتناول الفطور :

– قل لي يا «فرتز» .. كيف نأخذ الحيوانات الى اليابسة ؟

– لا نستطيع ان نركبها الزورق . انها ثقيلة جداً .. هل نستطيع ان نصنع زورقاً آخر؟ ان الابقار والخراف والماعز والحمار .



حيوانات لا تعرف السباحة !

– في السفينة الكثير من البراميل. نستطيع ان نصنع منها زورقاً !

– البراميل ! لنربط الحيوانات بالبراميل .. انها ستطفو ، وعندها نسحبها خلف الزورق .

– حسناً يابني .. لنجرب احد الحيوانات ، ونربطه ، لنرى أننجح ام لا .

احضرنا خروفاً ، وربطنا برميلاً في كل جانب من جانبيه ، ووضعناه في البحر . بدأ الخروف يغطس ويغطس حتى ظننت انه لن يظهر أبداً .

وأخيراً شاهدت رأساً فوق الماء ، وبدأ يسبح .. وعندما شعر بالتعب ، توقف عن السباحة ، وظل هناك ، يحمله البرميلان . قفز «فرتز» الى البحر ، وربط حبلاً بالخروف ، وارجعه الى السفينة مرة اخرى .. بذلنا جهداً كبيراً . ولوقت ما ، فكرنا انه ليس هناك شيء مستحيل . اكثر المصاعب التي واجهتنا كانت من الحمار ففكرنا في تركه ، ولكن عندما انتهينا من الابقار والماعز ، والخراف ، اتجهنا نحو البراميل ، الذي بدا انه يفهم ما نريده ، فاستسلم لنا ، وربطناه ببرميلين كبيرين . انزلنا جميع الحيوانات الى الماء ، ونزلنا نحن الى الزورق ، ورفعنا شراعه، كانت الريح قوية فساعدتنا على الوصول الى اليابسة بسرعة وحرر نا الحيوانات من براميلها .. جاء افراد العائلة يركضون نحونا .. تعجبت زوجتي لمشاهدة الحيوانات ، فقلت :

– انها فكرة «فرتز» .. انها رائعة . اليس كذلك ؟





مكان للبيت

سألت زوجتي :

– ما الذي كنت تفعلينه يا عزيزتي . عندما كنت على ظهر السفينة ؟

– لقد عثرت على مكان لبيتنا الجديد . لان حرارة الخيمة لا تحتمل اذ لا توجد اشجار نستظل تحتها . لذلك اخذ «ارنست» و «جاك» بندقيتها . وحملنا طعاماً يكفينا ليوم . جاء الكلبان معنا ايضاً . وصلنا الى نهر صغير . وعبرناه فوق الصخور . ثم واصلنا سيرنا . فوصلنا الى ارض مرتفعة .

ودهشنا لجمال المنطقة .. من هناك ، شاهدت مجموعة من الاشجار ، فسرنا نحوها .. كان عددها عشر اشجار ، لكنها اكبر اشجار شاهدتها في حياتي .. توقفنا هناك ، وتناولنا فطورنا ، وبدا لي انه أفضل مكان نعيش فيه هناك ! ذهبت باحثة عن مكان جديد لنعيش فيه ، فوجدته .. ارجوك ياعزيزي ، لنبني بيتنا عند واحدة من تلك الاشجار .

– ماذا ؟ في شجرة ؟ بيت في شجرة ! لربما نستطيع العيش تحت شجرة ، ولكن كيف سنصعد الى الشجرة ، نطير؟

– اضحك اذا رغبت في الضحك ، لكنني متأكدة تماماً اننا نستطيع بناء كوخ صغير بين الأغصان ، ونجد الطريقة التي نصعد بها اليه .

– حسن يا عزيزتي .. سنذهب غداً جميعاً ، ونشاهد المكان .

• • •





الذهاب الى البيت الجديد

اثناء الليل ، فكرت بما قالته زوجتي . واثناء تناولنا الفطور ، قلت :

– نعم .. سنذهب ونعيش هناك .. ولكن ما هو اول شيء نفعله يا اولاد ؟

قال «جاك» :

– نأخذ الخيمة اولاً ، ثم نأخذ اشياءنا وبعدها نأخذ الحيوانات .

– وماذا تقول يا «فرتز» ؟

– اول شيء نفعله هو بناء جسر لعبور النهر .. لأن الحيوانات لا تستطيع السير فوق الصخور التي عبرنا نحن بوساطتها .. وقبل

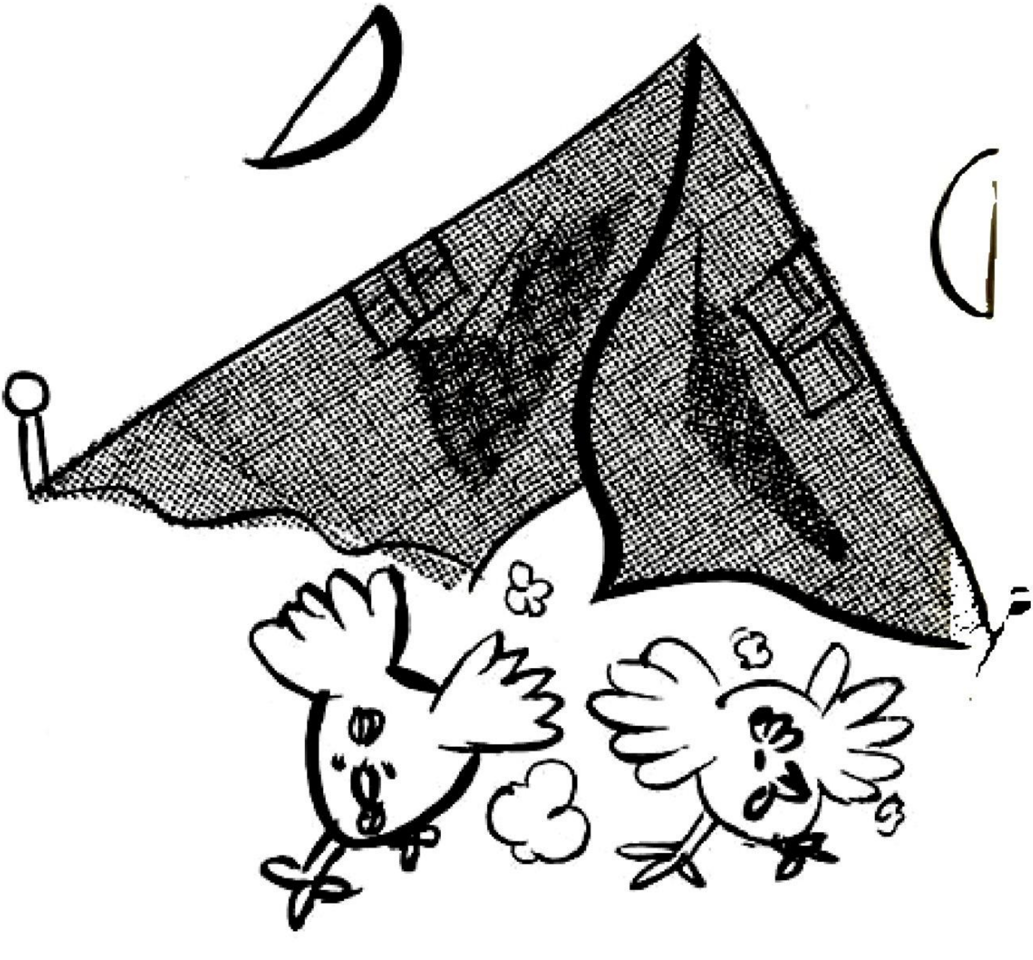
هذا لنذهب الى السفينة لنحضر الخشب الكافي لبناء الجسر.
قال «جاك» :
– شاهدت الكثير من الاخشاب مرمية على الشاطئ.

• • •

كان «جاك» على حق ؟ فقد وجدنا الكثير من الخشب . ربطنا الالواح الكبيرة ، ودفعناها الى مصب الينبوع بمساعدة الحمار ، ثم جلبناها الى اليابسة حيث أردنا بناء الجسر،بصعوبة بالغة استطعنا وضع ثلاثة ألواح كبيرة بين ضفتي النهر، وسمّرنا ألواحاً أخرى فوقها.. وعندما انتهينا من عملنا الشاق فعلاً، نمنا نوماً عميقاً.. وفي فجر اليوم التالي استيقظنا لنتهيأ للعودة.

• • •

وضعنا القدور والطعام وكل أشيائنا الصغيرة ، في حقائب ، وعلقناها على جانبي البقرة والحمار . حملنا الماعز بحقائب صغيرة . أركبنا «فرانسيس» فوق ظهر الحمار حتى لايهرب . أما أنا والأولاد ، فقد حملنا فراش النوم ، وكل مانحتاجه للايام الأولى في بيتنا الجديد.. وعندما جهزنا كل شئ ، جاءت زوجتي وقالت :
– لانستطيع ترك الدجاج هنا ، والاسنفقده .
بدأ «فرتز» و «ارنست» يركضان نحو الدجاج يحاولان



الامساك ، به لكنهما لم ينجحا في مسك دجاجة واحدة . قالت زوجتي :

– ساريكم كيف يكون مسك الدجاج .

رمت قليلاً من الطعام على الارض ، فاسرع الدجاج نحوه ، ثم رمت طعاماً آخر داخل الخيمة ، فذهب اليه مسرعاً ، وعندما كان الدجاج منهمكاً في الطعام ، اغلقت فتحة الخيمة وقالت :

– اذهب يا «جاك» الى الخيمة ، وناولني الدجاج . سنربط

سيقانه ، ونضعه في سلة ، تحملها البقرة .

* * *

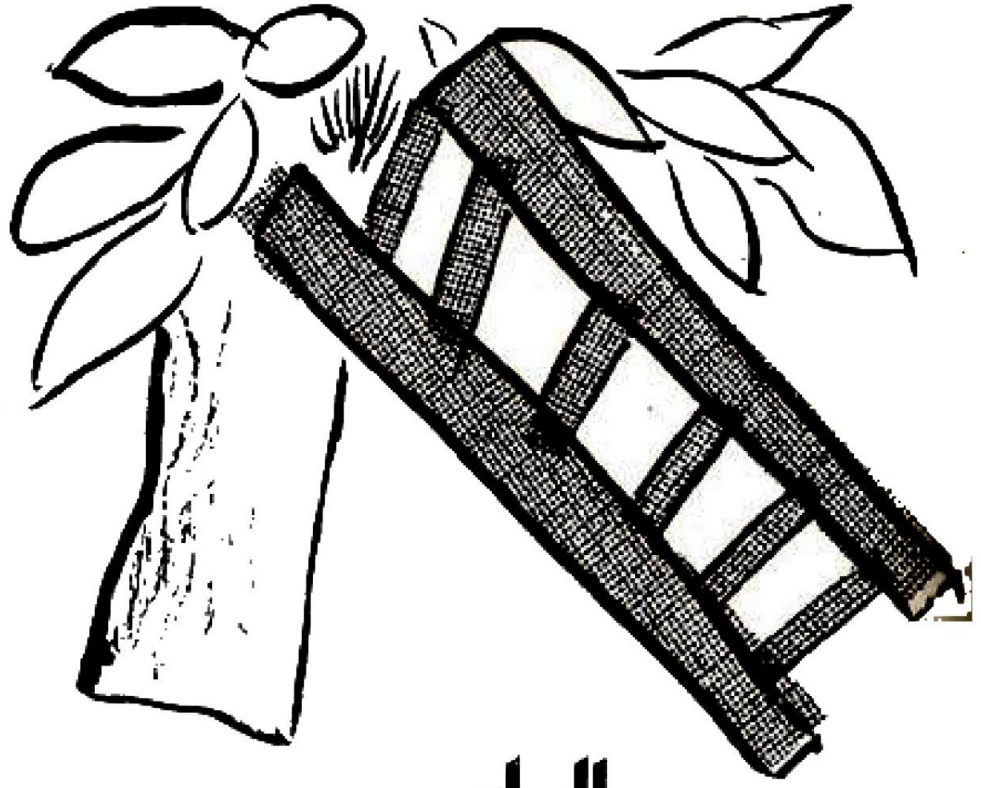
واخيراً كنا على استعداد للسير ، بعد أن وضعنا بقية اشيائنا داخل الخيمة ، التي اغلقنا فتحتها بدقة . سارت زوجتي و «فرتز» في المقدمة ، ثم تبعتهما البقرة والحمار ، الذي يمتطيه «فرانسس» ، فالعنزات التي يقودها «جاك» . في حين ركب القرد الصغير على ظهر العنزة التي تعطيه الحليب . وبعده جاء «أرنست» والخراف ، وكنت انا في الاخير .. كان الكلبان يساعداننا على السير برتل واحد . عبرنا الجسر بحذر .. في كل مرة يعبر واحد فقد خفت ان يكسر ثقل البقرة الجسر ، لذلك جعلنا الحمار يعبر اولاً . إلا أن الجسر لم يخيب ظننا .. عبرت البقرة بسلام ، فتبعتها بقية الحيوانات .

وصلنا الى المكان الذي احبته زوجتي .. قال «فرتز» :

– يا للاشجار الطويلة الرائعة !

– لم اكن اظن انها بهذا الحجم يا زوجتي . المكان ممتاز . اذا استطعنا تسلق احدى الاشجار ونبني بيتنا عليها ، فسنكون بمأمن من الحيوانات المتوحشة .

ربطنا الحيوانات حتى لا تهرب .. اطلقنا سراح الدجاج ، فطارت الى أعالي الاشجار . بدأت زوجتي تشعل النار لتطبخ لنا طعاماً .



السلم

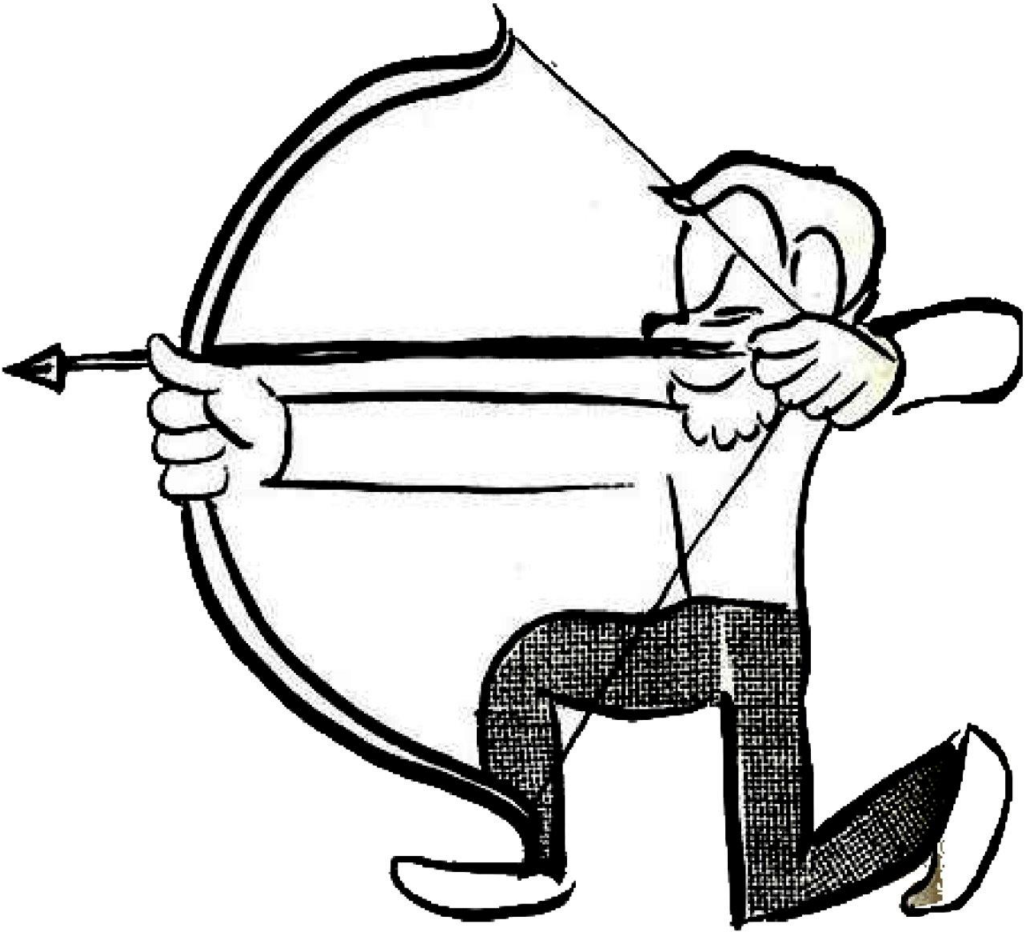
قلت بعد ان انتهينا من تناول الطعام :

– سننام هذه الليلة على الارض ، لأنني لم اهتد لحد الآن الى الطريقة التي نصعد بها الى الشجرة .

ثم ذهبت انا و «فرتز» و «ارنست» للبحث عن اشياء تفيدنا في صنع السلم . كان الساحل مغطى بالواح من الخشب مختلفة الامواج ، حملتها الاحجام الى هناك ، من السفينة .. قال «فرتز» :

– من الصعب صنع سلم من الواح الخشب هذه . كما انه سيكون ثقيلاً جداً .

– انظروا الى هناك ! هذا ما نحتاجه بالضبط ! خيزران .
صرخ «أرنست» وهو يشير بيده الى الخيزران النامي على مقربة منا .
قطعنا الخيزران الى قطع طول الواحدة حوالي مترين ، وربطتها لنستطيع حملها .
ثم قطعت عصياً مستقيمة ، وقلت :
– هذا الخيزران سيفيدنا في صنع الاقواس ، وهذه العصي ستفيدنا في صنع السهام .
رجعنا الى الشجرة ونحن نحمل عيدان الخيزران .. وضعناها على الارض ، وقلت :
– يبلغ ارتفاع ذلك الغصن الكبير حوالي عشرة امتار .. لنر الآن كمية الحبال .. انها عشرون متراً من الحبال السميكة .. ولدينا حبال رفيعة اكثر . والكثير من الخيوط . سنضع الآن ، على الارض حبلين طويلين ونقطع قطعاً من الخيزران ، طول القطعة نصف متر .. قطع يا «فرتز» الخيزران . «ارنست» سيساعدني في شد الحبال .
بعد عدة ساعات من العمَل المتُواصل ، انتهينا من صنع السلم ، فجلست اصنع قوساً .. وقلت لـ «ارنست» :
– احضر يابني بعض الريش لنصنع سهاماً من هذه العصي . ضع ابرة كبيرة في مقدمة السهم ، وريشاً في نهايته .
عندما رآنا «جاك» صرخ قائلاً :



قوس وسهام ! دعوني العب بها !

هذه ليست للعب يا «جاك» .. انها ادوات صيد . ساصنع لك سهماً وقوساً فيما بعد . انا اصنع الاقواس والسهام لنقتصد

في استعمال خراطيش الصيد والبارود .. اذا نفد العتاد ، فكيف سنحصل على غيره ؟

عندما انجزنا صنع القوس والسهام ، ربطت خيطاً طويلاً بسهم ، واطلقته الى اعلى ، نحو احد الاغصان ، فعبر الى الجانب الاخر ، حاملاً معه الخيط ..

– سنربط حبلاً رفيعاً بالخيط ، ونسحب الحبل فوق الغصن .

كان «ارنست» يفهم بسرعة ، فقال لي :

–سنربط الآن السلم بهذا الحبل الخفيف ، وترفع ذلك فوق الغصن ، ثم ستشده هناك بالحبل ، بينما سيتسلق واحد منا الى اعلى الشجرة ، ليثبته بالغصن ..

– انجزنا عملاً رائعاً يا اولادي ، هذا اليوم ، هيا لنربط الحيوانات ، وننام تحت الشجرة ، وغداً سنبني بيتنا فوق الشجرة .

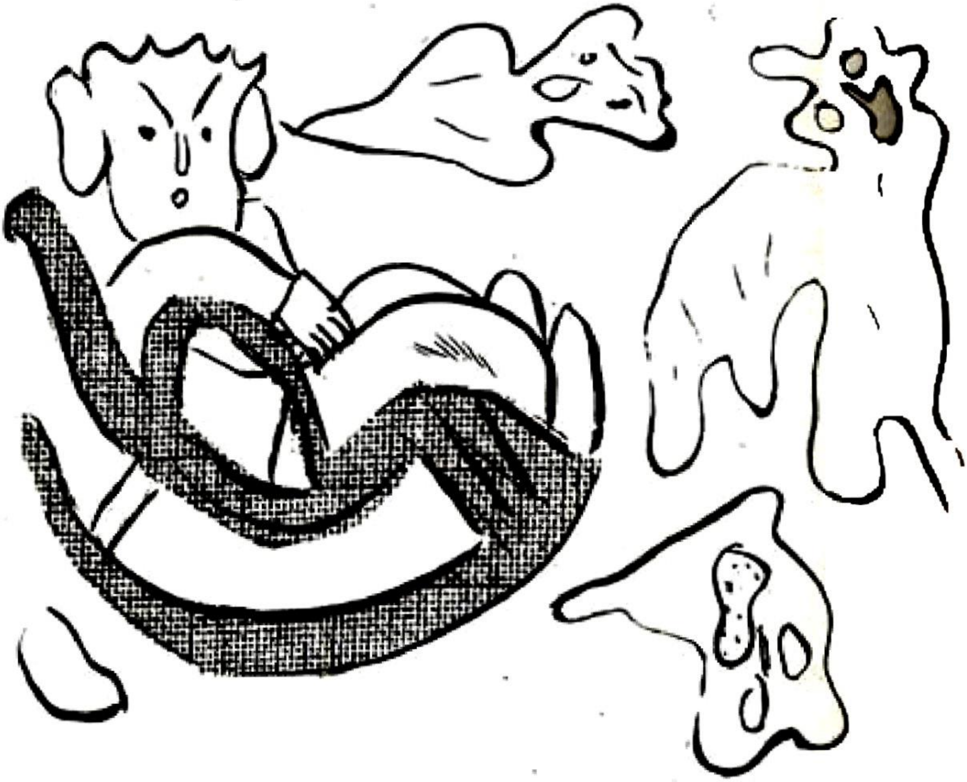
تناولنا طعام العشاء ، وذهب الاولاد الى الفراش .. قال «جاك» :

– انظروا .. بدأ البعض يستعمل السلم .

نظرنا نحو السلم ، فوجدنا الدجاج قد ذهب لينام هناك ؟ كل دجاجة على درجة .

اشعلت ناراً كبيرةً لابعاد الحيوانات المفترسة ، وبقيت يقظاً احرس عائلتي .

• • •



بناء البيت

كانت البداية مقلقة جداً .. شعرت اننا لسنا في مأمن فقد سمعت صوتاً غريباً .. إلا أنه لم يكن غير صوت سقوط اوراق الشجرة .. النار بدأت تخفت .. ما هي تلك الاشباح ؟
هل هي اشباح بعض الوحوش تقترب ، نهضت وغذيت النار بالحطب ..
وشعرت بالطمأنينة اخيراً ، فذهبت للنوم . كان الوقت صباحاً عندما استيقظت . كان الجميع مستيقظاً أيضاً .. تناولنا فطورنا ، وبدأنا نعمل .

جلبت زوجتي البقرة ، ثم ذهبت الى الشاطئ بصحبة «ارنست» و «جاك» ، و«فرانسس» والحمار . ذهبوا لاحضار الخشب الذي نحتاجه لبناء البيت . تسلقت الشجرة انا و «فرتز» . بوساطة السلم ، لنخطط لبناء البيت .. قلت :

– هذه الاغصان سميكة ومتقاربة .. من الممكن ان تكون ارضية البيت هنا ..

ان الشجرة ستكون احد جدران البيت .

نظر «فرتز» الى اعلى ، وقال :

– الاغصان العليا ستحمل السقف .. اي نوع من السقوف سنصنع؟

– سنضع الشراع فوق تلك الاغصان ، ونسحبه الى الارضية ، على الجانبين .

كان هذا خطأ فظيعاً ، لكنني و «فرتز» كنا في غاية السرور ، عندما وضعنا خطتنا البسيطة تلك .. وقلت :

– الجانب الرابع سيكون مفتوحاً .. سننظر منه الى ما حولنا .. لربما نستطيع صنع مكان نجلس فيه خارج البيت نهاراً .

– سيكون بيتنا جميلاً .. لكنهم تأخروا في جلب الخشب

واخيراً ظهرت زوجتي و «ارنست» مع الحمار الذي كان يجر حملاً كبيراً من الخشب ، اضافة الى الخشب الذي كان مشدوداً على ظهره ..كان «فرنسس» يجلس فوق كومة الخشب .. بعد ان افرغوا الحمولة ، رجعوا لجلب حمولة اخرى .. ثم تساءل

«فرتز» :

كيف سنرفع الخشب الى الاعلى ، هل نستعمل السلم ؟

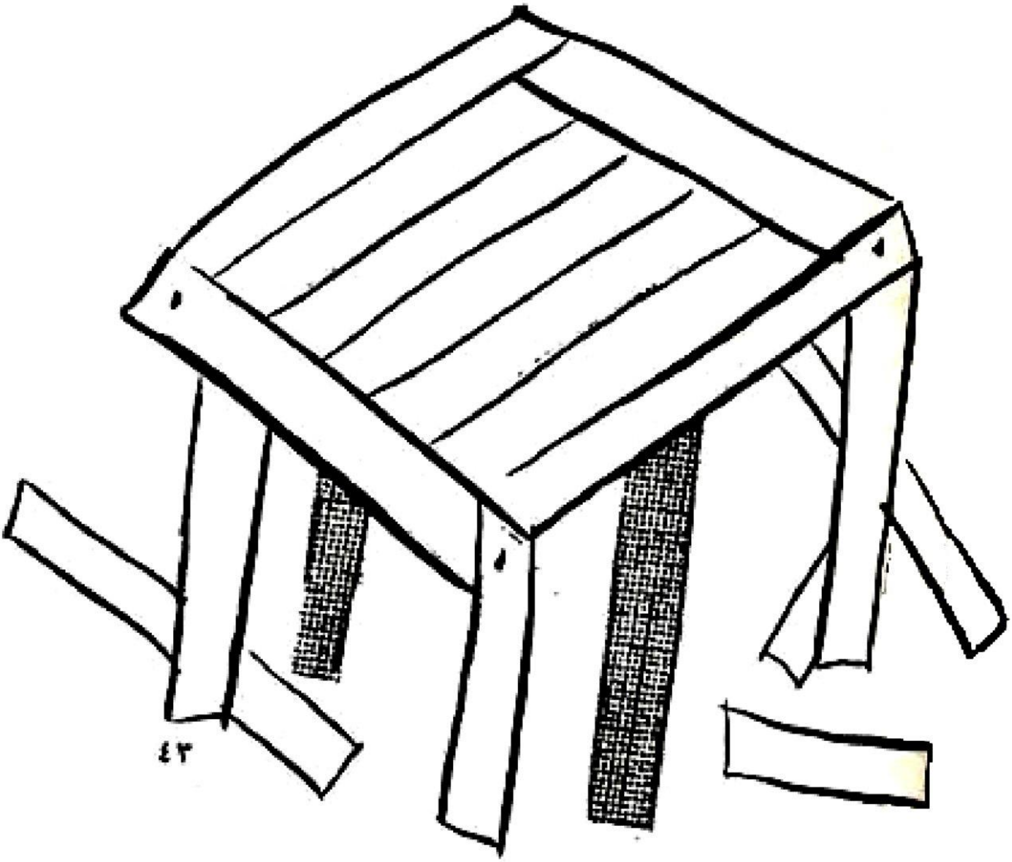
- يجب ان نرفعه يا بني .

- بوساطة عجلة .. عجلة تسحب الاشياء الى الاعلى .. ما هو اسمها ؟

- عتلة .

- نعم .. نعم .. عتلة ! اين شاهدت العتلة ؟ آه ! تذكرت ! في صندوق عدد «ارنست» .

وجد «فرتز» العتلة ، فربطناها الى احد الاغصان ، ورفعنا قطع الخشب الى الاعلى . وقد احضرت زوجتي و «ارنست»



حمولتين أخريين من الخشب . وراح «ارنست» يساعد اخاه في ربط قطع الخشب بحبل ، ورفعها الى الاعلى ، بينما انهمكت انا في صنع السقف وزوجتي في اعداد الطعام . لقد تمّ الانتهاء من صنع الارضية مساء .. علقنا قماش الشراع فوق الاغصان العليا .. قلت بعد ان شاهدت بقايا من القطع الخشبية :

– انتهينا من صنع البيت . سنصنع منضدة وكراسي من الخشب هذا ، غداً .

طهت زوجتي طيراً اصطاده «فرتز» . كان طعمه يشبه طعم السمك ، لكننا التهمناه التهاماً ، من شدة جوعنا .. اشعلنا ناراً ، ثم قلت :

– سننام الليلة في بيتنا الجديد .

اسرع الولدان الكبيران الى السلم ، وتسلقاه وهما يحملان فراشيهما ، لكن زوجتي كانت مترددة قليلاً في تسلق السلم ، فشجعتها فتسلقته بسلام ، ثم حملت «فرانسس» على ظهري ، وتسلقت السلم ، وبعدها رفعته الى اعلى .. قال «جاك» :

– نحن في امان الآن . لا احد يستطيع الوصول الينا .

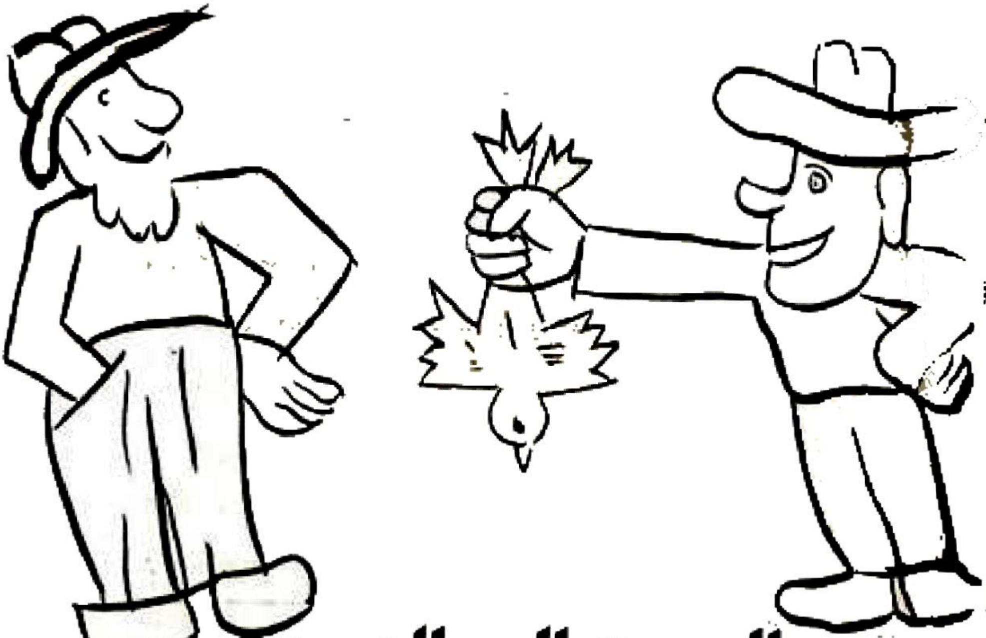
– اين القرد صرخ فرتز؟

صرخ «فرتز» فقال «ارنست» وهو يشير نحو فراش اخيه :

– هناك .. لا احد يستطيع الوصول الينا !

وضعت بندقيتي بجانبي ، لانني لم اكن مطمئناً على سلامة الحيوانات ، لكن الليل مرّ بسلام ، والحمد لله .

* * *



العودة الى الخيمة

بعد تناول الطعام ، جلست مع «فرتز» لصنع منضدة ، وفجأة سمعت صوت اطلاقة ، وسقوط طير تحت اقدامنا ..
صاح «ارنست» :
– رمية رائعة !
– لا .. انها سيئة جداً . لا ينبغي تبذير طلقة في طير كهذا . ينبغي استعمال القوس والسهم اللذين صنعتهما .. وان التدرب على استعمال القوس سهل جداً عندما انتصف النهار ، جلسنا نتناول طعامنا ، لاول مرة . وهو موضوع على المائدة .. قالت زوجتي :
– اين «ارنست» و «جاك» ؟ ربما قد حصل لهما شيء .
– اطمئني يا عزيزتي .. انهما لا ينتبهان للوقت .. سيعودان

حالاً .

وسرعان ما ظهر الولدان فعلاً ، وهما يحملان قوسيهما .. قال «جاك» ، قبل ان اتكلم ، وهو يحمل بيده طيراً صغيراً جداً اصطاده بسهم :

– هل تعرفون ماذا اصطاد «ارنست» ؟ ارنبا !

اراناً «ارنست» صيده .. كان حيواناً صغيراً يشبه الارنب .

– انا فرح بصيدكما يا ولديّ ، لكنني غاضب لتأخركما .. قلقت امكما عليكما كثيراً .. هيا لنتناول الطعام .

كان الطعام مؤلفاً من اللحم والخبز فقط .. قالت زوجتي :

– نسيت شيئاً في الخيمة .. اذا احضرته سأعد لك طعاماً افضل .. ثم لا تنس ان البط ما يزال هناك .

انطلقنا ، يسبقنا الكلبان . وكان «القرد» يمتطي ظهر «ترك» .. كان «فرتز» ، و«ارنست» و «جاك» يحملون الأقواس والسهام .. كنت وزوجتي في الاخير . حملت حقيبة لاجلب ملحاً . وعندما سرنا بمحاذاة الشاطئ ، شاهدت كمية كبيرة من الخشب كانت لا تزال هناك .. وشاهدت قطعتين طويلتين متماثلتين ، جلبتا انتباهي . وصلنا الى الخيمة ، فوجدناها كما قد تركناها .. ذهب كل واحد منا ليحضر الشيئ الذي يريده .. إذ ذهب «فرتز» ليحضر صندوق البارود وبعض الخراطيش ، وذهبت انا لجلب الزبد ، فرأيت زوجتي تحمل كيساً ، سألتها



عنه ، فقالت :

- انها بطاطا .. سأسلقها !

- لا ياعزيزتي .. لا ! سنزرعها! نعم .. سنزرعها ! وفي السنة القادمة ، سنحصل على بطاطا كثيرة !

ويبدو ان «جاك» كان يصغي لكلامنا ، فقال :

- لنأكل هذه البطاطا ، ونجد بعض البطاطا البرية ، كما وجدنا قصب السكر وجوز الهند .

- لا يا «جاك» .. البطاطا البرية لا توجد هنا . انها تنمو فوق قمم الجبال العالية ، وهي صغيرة الحجم جداً ، وطعمها غير مستساغ . امسكوا البط .

استطاع الاولاد الامساك بالبطات ، بعد ان رموا بعض الطعام في الماء ، واقتربت لتتناوله . اما انا ، فقد ذهبت مع «فرتز» لاحضار الملح .. المتكون من جفاف ماء البحر على الصخور .

سرنا بمحاذاة الجدول . وزعيق البطات ما انقطع ، مما جعل الولدين يضحكان ضحكاً عالياً ، انساهما حملهما الثقيل .. نظرت اليهما ، ثم تساءلت مع نفسي :

- لماذا نتعب في حمل هذه الاثقال ، ونحن نعرف طريقة لحملها ؟

• • •



الزلاجة

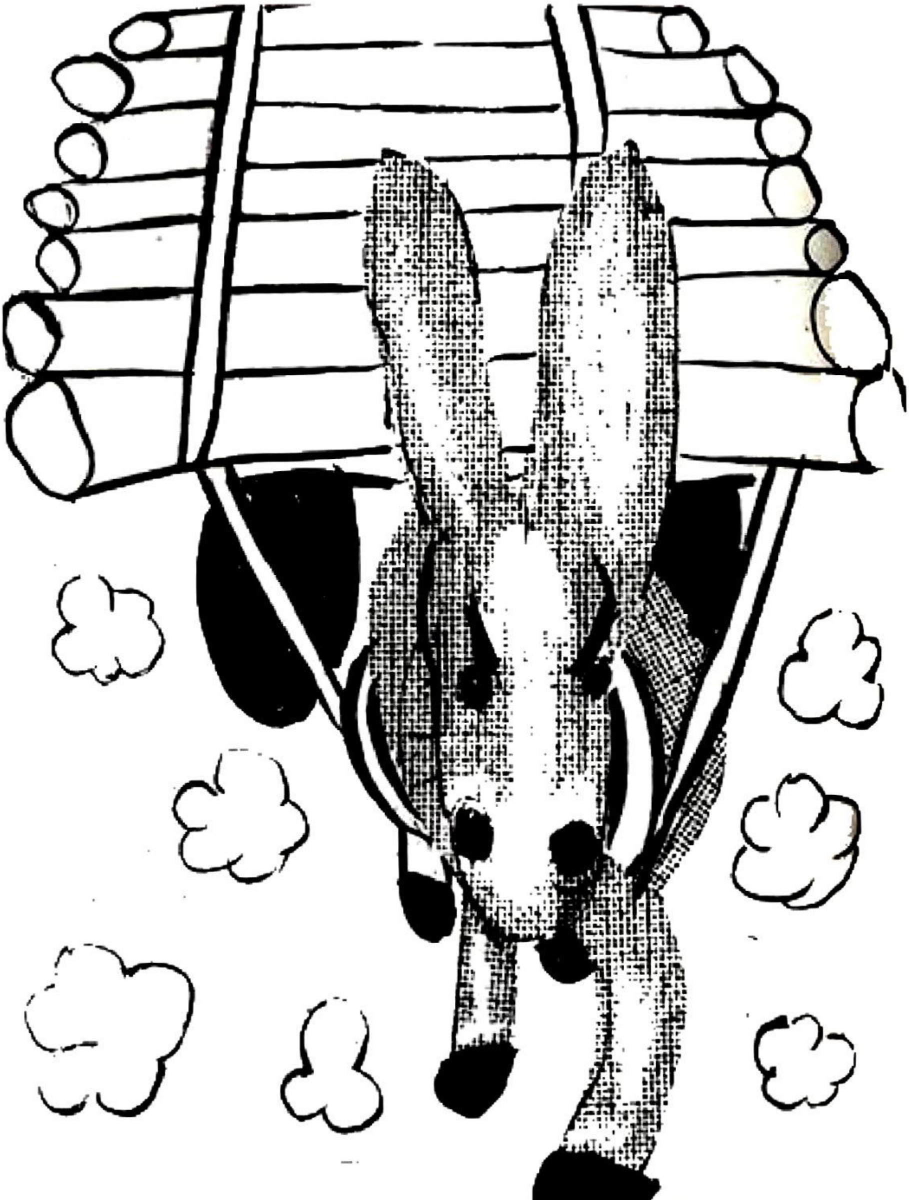
برميل الزبد كان ثقيلاً جداً ، ففكرت مع نفسي :
– يجب ايجاد طريقة لحمل الاشياء الثقيلة» .
فكرت بحيواناتنا وهي مربوطة في جذع الشجرة ليلاً ؟
الماعز ، والحمار والبقرة .
انها ليست في امان ، يجب صنع اكواخ لها .. وهذه الاكواخ تحتاج الى خشب .. خشب اكثر من الذي استخدمناه في ارضية البيت .. وكذلك قصب الخيزران . لا يستطيع الحمار حمل الشيء الكثير .. اذ علينا ان نصنع زلاجة .. لوحا الخشب الموجودان على الشاطئ ملائمان .

قررت ان آخذ «ارنست» معي ، لانه كسول بعض الشيء ..
واذا حدث اي شيء في غيابي ، فان «فرتز» يستطيع ان يقدم المساعدة للآخرين . عند الضياء الاول ، ايقظت «أرنست» ونزلنا السلم بهدوء . اخذت منشاراً ومطرقة ومسامير وقطعة خيط رفيع .

وجدنا اللوحين الخشبيين ، فصنعنا منهما زلاجة . كنا نسحبها بسهولة ، وخصوصاً على رمال الشاطئ . وحالما انتهينا من افطارنا ، سمعنا ضوضاء بين الدجاج ، فركضنا نحوه ، وانا اظن ان بعض الحيوانات يهاجم طيورنا .. صرخ «ارنست» :
– «القرد» يحاول مسك الدجاج .

ثم شاهدنا «القرد» يختبئ وراء شجرة ، وهو يأكل بيضة ، ركض باتجاه شجرة اخرى . فركض «ارنست» وراءه ، وعاد وهو يحمل بيده أربع بيضات . كان «القرد» يخفيها ..
ذهبت زوجتي تبحث بين الحشائش ، فسمعتها تقول :
– واحدة من الدجاجات ترقد على البيض . سنحصل على فراريج لطيفة . لنحمي الدجاج ونبعد «القرد» عنها .

بعد الغداء . قمت و «ارنست» ، بجعل الحمار يسحب الزلاجة الى الشاطئ ، لجلب المزيد من الخشب والخيزران . وبينما كنا نحمل هذه على الزلاجة ، اطلقنا سراح الحمار ، فقد شاهد حشائش خضراء على الجانب الاخر من الجدول ، وتجول



حول الجسر ، حتى غاب عن البصر . قلت لـ «ارنست»
– لا يمكن ان يكون قد ابتعد كثيراً . خذ «فلورا» وعد به . اشعر بالحر .. اريد ان استحم .

أنعشني الاستحمام كثيراً . وعندما رجعت ، شاهدت الحمار مربوطاً الى شجرة ، لكنني لم أر «أرنست» ، فقلت لنفسي :

– ربما ذهب يسير بمحاذاة الشاطئ .

شاهدته واقفاً فوق صخرة ، فصرخ بي :

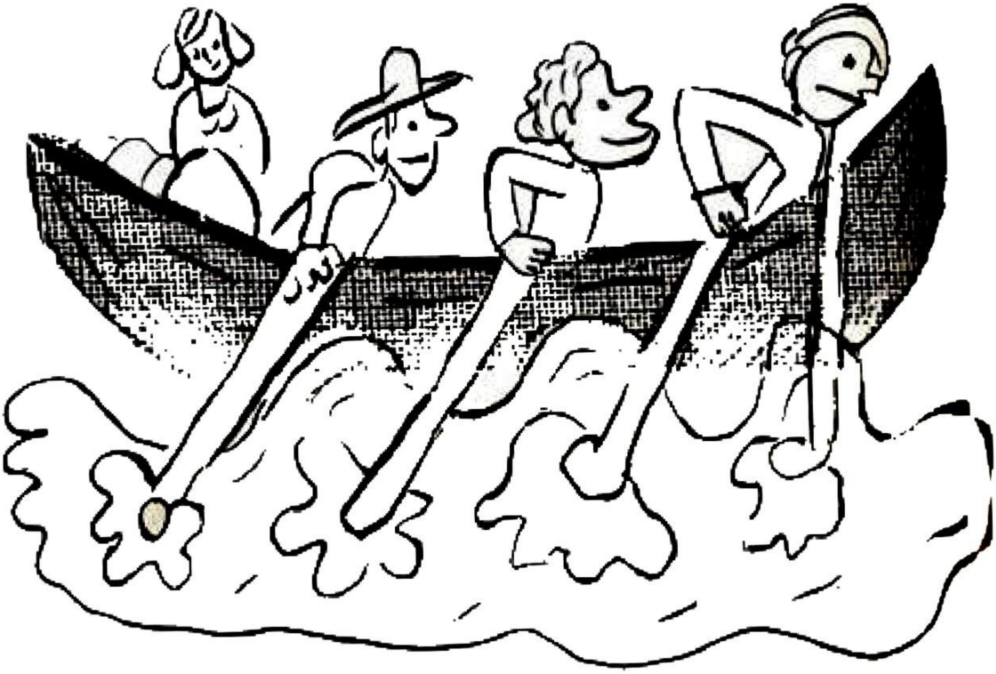
– ابي .. انظر ! سمكة ! اكبر سمكة رأيتها في حياتك ! يجب ان اصطادها لنتغدى بها .

لقد كانت سمكة كبيرة حقاً ، ولكن كيف نستطيع صيدها ؟ وبأي شيء ؟قلت :

– تعال يا بني . لنعد الى البيت بالزلاجة . السماء ملبدة بالغيوم ، واعتقد ان الرياح بدأت تشتد .

ألقيت نظرة على المكان الذي تقف فيه السفينة بين الصخور. لم يبق منها شيء يذكر، عاصفة اخرى وستحمل بعيداً. يجب الذهاب اليها مرة اخرى، لجلب ما يفيدنا. انها فرصتنا الاخيرة. هل تصرفت تصرفاً سيئاً عندما جلبت الحيوانات؟ ما الذي كان علي جلبه؟ زبد.. لحم مملح.. اغطية للاسرة.. دقيق.. بارود.. كتب.. غير انني عرفت بعدها اننا قد نبقى على هذه الجزيرة لوقت طويل.. سنة او سنتين، او سنوات عديدة.. او ربما العمر كله.. ما هي الاشياء التي لم نجلبها؟ لماذا لم افكر بالاشياء الأكثر اهمية؟

• • •



الرحلة الثانية الى السفينة

استيقظت مع «فرتز» مبكرين، في صباح اليوم التالي. ذهبنا الى الزورق. كان في حال جيدة، ولكن ماذا بصدد الشراع؟ لقد استخدمناه في صنع سقف البيت.. فقال «فرتز»:

– اني.. اظن انّنا نستطيع الوصول الى السفينة بالمجاديف. سيساعدنا مجرى النهر.

– هذا صحيح.. ولكن يجب ان نجلب شراعاً آخر من السفينة، ليساعدنا في الرجوع، عندما يكون الزورق محملاً. لنعد الى البيت، ونخبرهم اننا سنبيت في السفينة.

رجعنا بسرعة، واخبرتنا العائلة بانهم سيلاقوننا عندما نعود،

ويجلبون الزلاجة لحمل ما نجلبه. وصلنا الى السفينة من غير صعوبة. قلت لـ «فرتز».

– اي الاشياء التي نحن بحاجة ماسة اليها اكثر، يا بني؟

– انا افكر باشياء صغيرة جدا.

– ما هي؟

– سنارة لصيد الاسماك الكبيرة.

– هذا صحيح.. شيء مهم فعلا يا عزيزي.. سنارات وشباك لصيد السمك.. لكننا لا نستطيع اكل السمك واللحم يومياً.

– يجب الحصول على خبز وفاكهة وطعام اخضر.

نظرت الى «فرتز» قليلا، ثم قلت له:

– علينا اذن الحصول على ما نستطيع زراعته. انت تذكر السيد «ولكنز» الذي كان على ظهر السفينة. اراد ان يبدأ حياة جديدة في بلد جديدة. كان مزارعاً، وقد قال بانه قد جلب بعض ادوات الزراعة. يجب العثور على هذه الادوات سأنزل الى السفينة وأرى ان كنت استطيع ايجاد مسحاة ومذراة وغيرهما كنت املا ان اجد بعض البذور لكنني فشلت وفكرت مع نفسي:

– يجب ان يكون عندنا بعض البذور.. اية بذور توجد عندنا لنزرعها؟ فاصولياء!

اسرعت الى المطبخ، فوجدت نوعين من الفاصولياء. اخذت كميات كبيرة منها. كانت غرفة السيد «ولكنز» تقع في

الجزء الخلفي من السفينة، التي هي الان تحت الماء. لم نستطع جلب اية بذور من هناك.. فكرت مع نفسي.

– لابد من وجود نباتات اخرى على الجزيرة، يمكن زراعتها للحصول على طعام. اذا حصلنا على البطاطا والفاصولياء، فسنكون على احسن حال.

جاء «فرتز» وقال:

– وجدت صندوق سنارات وخيوط صيد السمك.

عثرنا على بعض الشباك ايضا. صحيح انها لم تكن كبيرة جدا، لكنها مفيدة..

قلت لـ «فرتز»:

– لنفتش عن عدذ اخرى.

أخذنا كل الادوات التي وجدناها.. ثم قلت لـ «فرتز» فجأة:

– تذكرت يا بني ان السيد «ولكنز» قال انه قد جلب معه محراثا.. سينفعنا حتماً! أمضينا الليلة على ظهر السفينة، وانتظرنا حتى انتصاف اليوم التالي، حيث كانت اشعة الشمس لاهبة، ونسيم البحر حاراً.. نظرت الى السماء.. انها تنذر بهبوب عاصفة.. صنعنا شراعاً جيداً، وثبتناه في الزورق وانطلقنا عائدين.. في البداية، كانت الريح خفيفة، فتحرك الزورق ببطء شديد.. قلت لـ «فرتز»:

– ربما نستطيع صيد سمكة ونحن في طريقنا الى اليابسة.

القى «فرتز» سنارته في الماء، وسرعان ما شعرنا بان الخيط

يشد بقوة سحبت الزورق الى الخلف.. صرخ «فرتز»:

- السمكة تسحبنا الى البحر.

- لنقطع الخيط.

- لا يا ابي.. لننتظر.

امسكنا المجدافين، ورحنا نجدف بصعوبة.. ان الريح لم تكن تساعدنا الا قليلا.. وبعد فترة، وجدنا ان الزورق اخذ يبتعد بنا في البحر، اكثر فأكثر.. فقلت:

- اتمنى ان تهب الريح.

ويبدو ان امنيتي قد تحققت، اذ سرعان ما بدأت الريح تهب، وراح الزورق يتجه نحو اليابسة.. الريح بدأت تشتد، واخذ الزورق يسرع اكثر فأكثر، حتى خفت على الشراع.. ورمتنا الريح بعد قليل على اليابسة، وتناثر الزورق الى قطع صغيرة، غير اننا لم نصب بأذى.

كانت العائلة تنتظرنا ومعها الزلاجة.. اسرعنا بحمل محتويات الزورق، ووضعناها على الزلاجة.. قلت:

- هذا هو كل شيء..

غير ان «فرتز» قال:

- لا يا ابي.. لنر ان كانت السمكة باقية معنا.

ذهب الى الماء وبفرح قال:

- نعم.. انها ماتزال موجودة.

كانت السمكة كبيرة، لدرجة اننا سحبناها بصعوبة الى



اليابسة، ووضعناها على الزلاجة.. قلت:

- ستكفينا عدة ايام.. ولكي لا تفسد، سنملحها.

- ولكننا فقدنا زورقنا.. ماذا سنفعل؟

- سنصنع واحدا من البراميل.. وستكون هذه البراميل مفيدة في الوقت نفسه، لخزن الطعام.. وانت يا «ارنست»، سر بمحاذاة الشاطئ؛ لعلك ستعثر على زورق من زوارق السفينة مطروحا هناك.

كان هناك زورق فعلا.. صحيح انه كان في حالة سيئة، ولكن باستطاعتنا اصلاحه، ليكون احسن من زورقنا السابق.

تناولنا في العشاء، جزءاً من سمكة «فرتز».. كان طعمها لذيذا جداً.. وضعت زوجتي جزءاً منها جانبا لطعام اليوم التالي، ووضعنا بقية السمكة في برميل، بعد ان ملحناها.. بعد ان انتهينا من ذلك، جلسنا حول النار، نتحدث عما يجب عمله في الايام القليلة القادمة.. قالت زوجتي:

- عليك ان تصنع كوخا تضع فيه العدد والاشياء الكبيرة الاخرى التي لا نستطيع حملها الى البيت.

- يجب ان نصنع اكواخا للحيوانات، وان نصنع حديقة ايضا.

قال «فرتز»:

- لابد ان تكون الحديقة كبيرة.. سنزرع فيها الذرة التي جلبناها من السفينة، والبطاطا والفاصولياء، وربما سنجد نباتات أخرى

على الجزيرة.

– ما تقول صحيح يا بني.. اضافة الى بناء سياج حول الحديقة، والا ستلتهم الحيوانات الاخرى مزروعاتنا.

– اوه! هذا عمل كثير!

قال «ارنست» الكسول ذلك.. «ارنست» لا يحب العمل كثيرا.. قالت زوجتي:

– اخبرتموني عما سنأكله في السنة القادمة،ولم تخبروني عما سنأكله اليوم.

– معك حق يا عزيزتي.. لا توجد معنا بطاطا.. قد نجد نباتات برية تصلح للاكل.. «اليام»[1] مثلا.. انا متأكد من وجود «اليام» في هذه الجزيرة في الصباح الباكر انطلقنا جميعا نبحث عن «اليام».. قلت:

– ستجدون «اليام» نابتا في التربة الرملية.. متسلقا على نباتات اخرى، شجيرة صغيرة مثلا.

. مروقت، ولم يجد احد منا شيئا، ، وجد «فرتز» نباتا وناداني:

– هل هذا هو «اليام»؟

– ربما هو.. احفر وحاول العثور على الجذر.

بدأ «فرتز» يحفر، وهنا ناداني «ارنست»:

– يوجد هنا نبات متسلق.. هل هو هذا النبات؟

– ربما يا بني.. احفر حتى تعثر على الجذر.. انه ازرق او احمر داكن.. وقد يكون كبيرا، اكبر من حجم كرة القدم.

كان «فرتز» يحفر، حتى وصل الى عمق نصف متر، ثم قال:

– حفرت لعمق نصف متر، ولم اعثر على اي جذر.

– استمر في الحفر.. قد يكون على عمق متر.

اما «ارنست» فقد وجد جذره على عمق اكثر من نصف متر، وفرح فرحا شديدا.. ووجد «فرتز» جذره ايضا.. كان الجذران كبيرين جدا، فرحنا بهما.. وعثرنا على كميات اخرى من هذه الثمار.. فقلت:

– حسنا يا ولدي... حصلنا على طعام نأكله بدل البطاطا ... من الممكن ان نصنع منه نوعا من الخبز،

انطلق «جاك» بعيدا، وجاء وهو يقول:

– وجدت بطاطا.. بطاطا حقيقية.

– لا يا «جاك».. البطاطا لا تنمو بصورة برية.

– ولكن انظر هذه يا ابي.

واراني بطاطا خضراء

– اوه! انها ليست البطاطا التي نعرفها.. انها البطاطا الحلوة.. قشرتها خضراء، وطعمها لذيذ.. يجب ان نعثر على كمية منها لنزرعها في حديقتنا ولنعد الان.

عدنا الى البيت، وقطعنا «اليام» الى قطع صغيرة، وغسلناها بعناية، لان السائل الموجود فيه، كريه الرائحة وخطر جدا.

طبخت زوجتي «اليام».. كان طعمه يشبه البطاطا، واخذت بعضه، وصنعت منه نوعا من الخبز.. كان صلبا، لكنه لذيذ

الطعم.

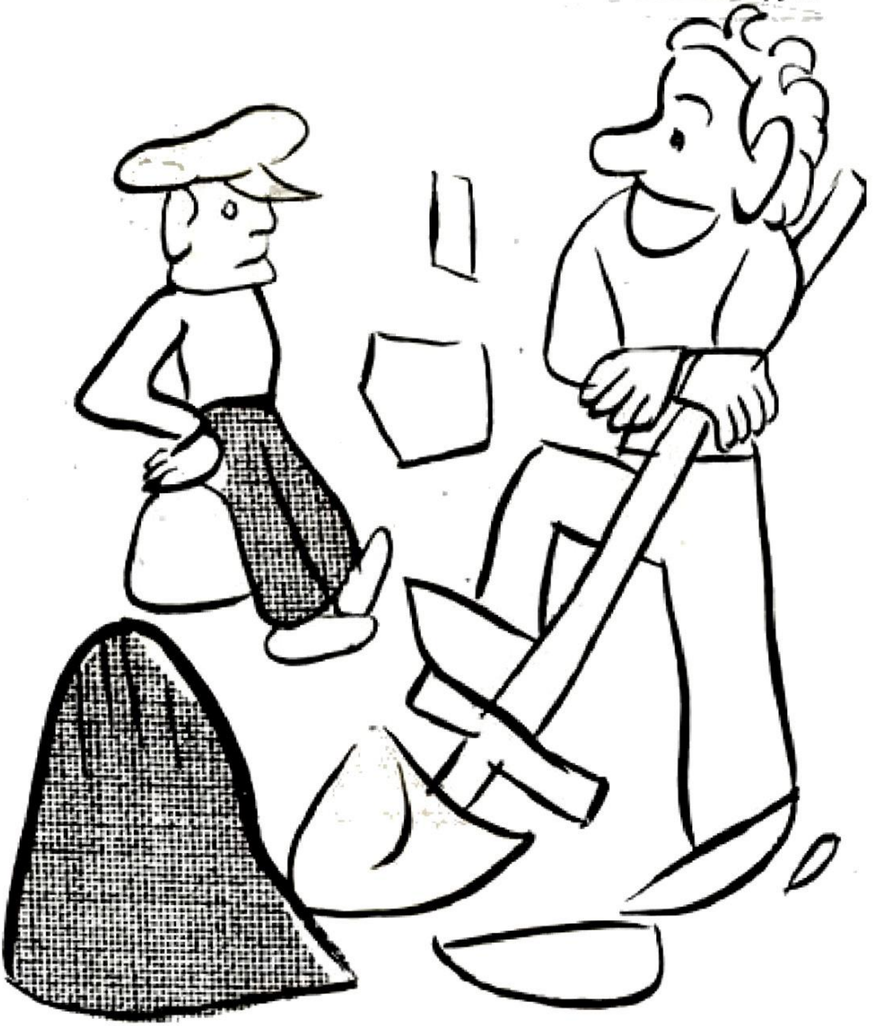
حل المساء.. وعندنا خبز وبعض السمك للعشاء.. قلت:

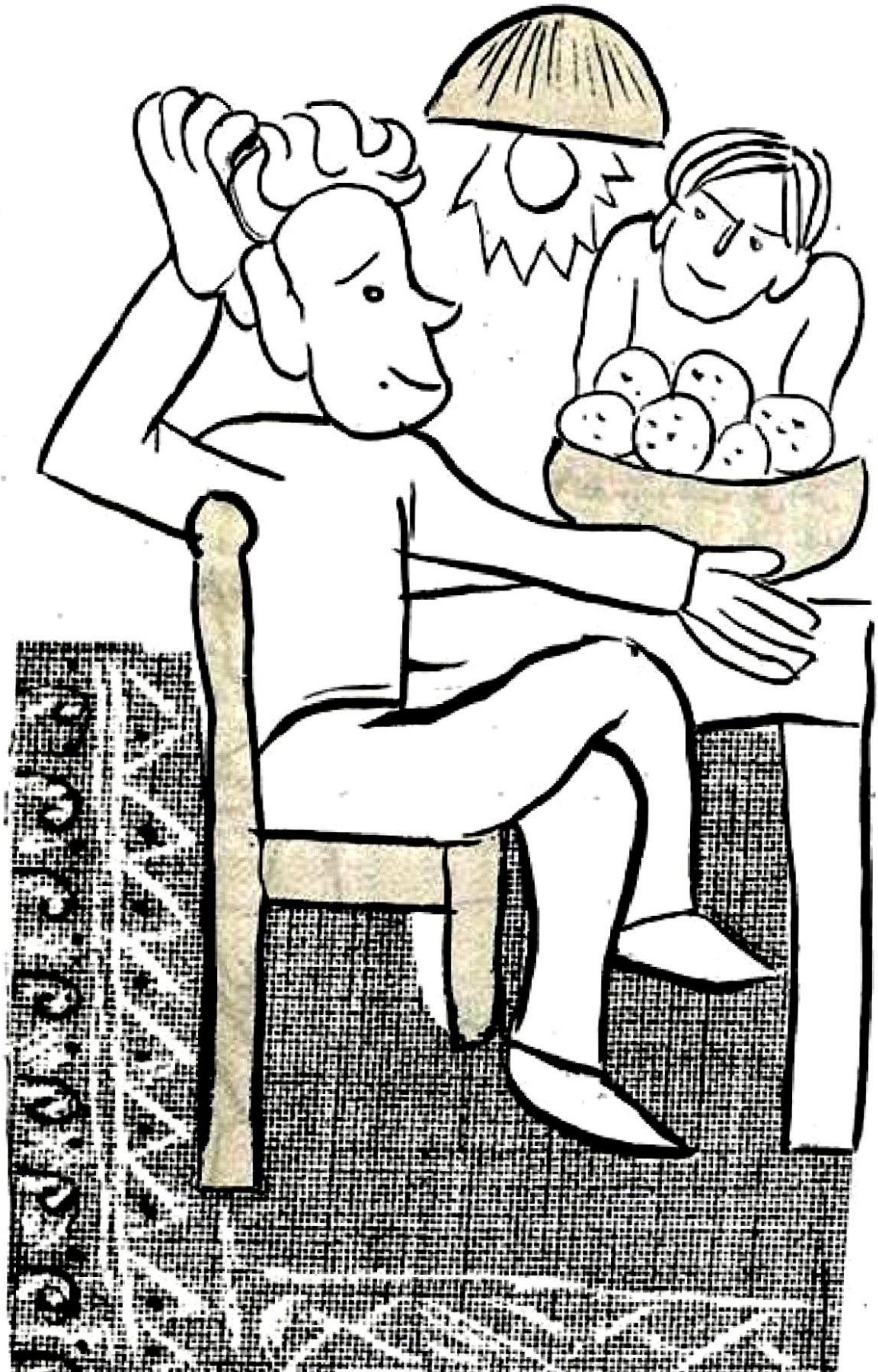
– سياج الحديقة سنصنعه من الخيزران.. ونحن نحتاج الى كميات كبيرة منه.. وخصوصا اننا سنبني اكواخا للحيوانات.

قال «ارنست»:

– لا نحتاج الى اي كوخ.. لا نملك سوى البقرة والحمار والماعز.

– قريبا يا بني، سنجد حيوانات اكثر مما تتصور وكنت على حق فعلا.







الحديقة

نهضنا مبكرين جداً في الصباح الباكر ، لنبدأ في حفر حديقتنا ، بينما كان الهواء بارداً . أخذنا العدد اللازمة ، وجاء معنا «جاك» أيضاً . بدأنا نحفر .. وبعد ان شعرنا بالتعب ، قلت :

– لنذهب الآن ونجمع فضلات حيواناتنا .. انها سماد ممتاز!

عدنا للحفر مرة اخرى في المساء ، عندما بدأ الجو يبرد .. وكنا في غاية التعب حين نادتنا زوجتي لتناول طعام العشاء .. عشاؤنا كان سمكاً وخبز اليام .. قلت:

– سنستمر في الحفر غدا ، ثم نجلب بعد ذلك الكثير من قصب الخيزران ، لنصنع منه سياجاً لحديقتنا ، وزرائب لحيواناتنا .

تساءل «جاك» :

– كيف سنستطيع حمل الخيزران الكثير فوق اليابسة؟ لاأظن ان الحمار يستطيع سحب كمية كبيرة منه .

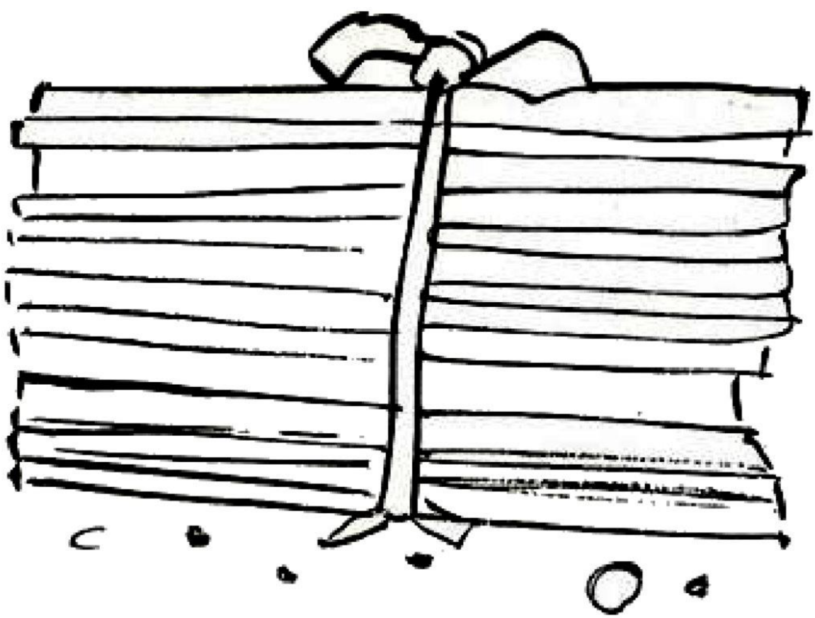
– سنذهب إلى مكان آخر نجلب منه الخيزران ، وسنجد طريقة أفضل لاحضاره إلى منزلنا .

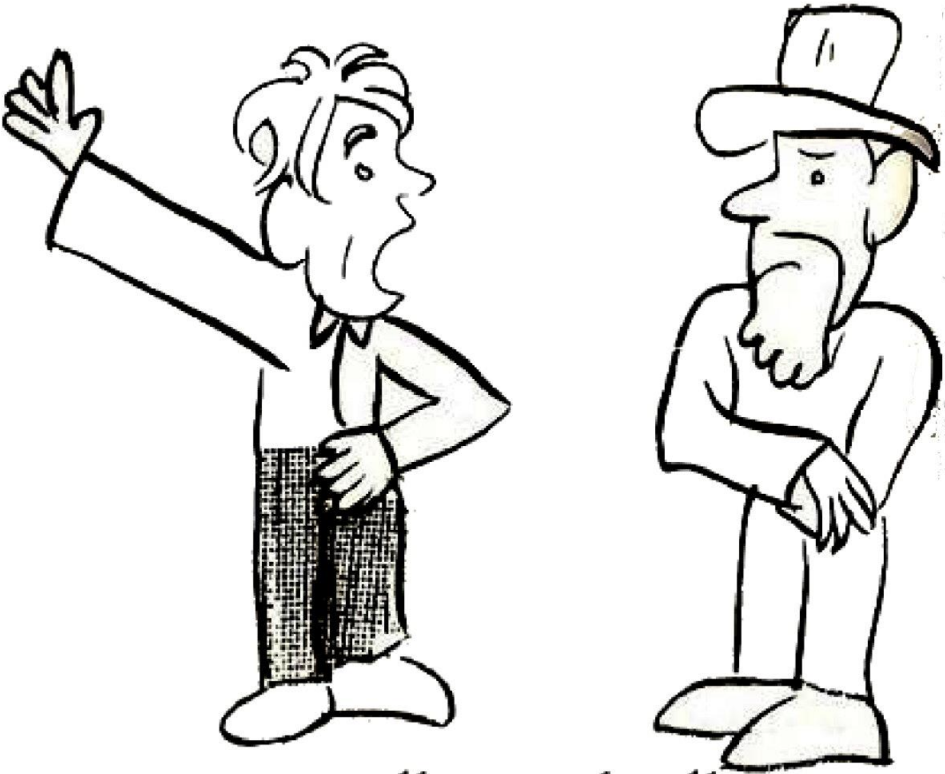
تساءل «جاك» مرة أخرى مستغرباً :

– هل هناك طريقة أخرى لجلب الخيزران ، أفضل من الحمار؟

– نعم يابني .. هناك طريقة أفضل بكثير. سنذهب إلى اعالي النهر ، ونقطع الخيزران ونضعه في النهر .. وان ماء النهر الجاري سيحمله ويوصله بالقرب من بيتنا .

– انها أفضل طريقة فعلاً!





الجواميس البرية

ذهبنا لاحضار الخيزران . جاءت زوجتي والأولاد الثلاثة معي .. وتبعنا الكلبان أيضاً . أخذنا معنا الحمار كذلك . ولأننا سنذهب إلى منطقة لم نستكشفها من قبل ، فقد أخذنا بنادقنا معنا .. كان هذا شيئاً ممتازاً فعلناه ، وكذلك أخذ الكلبين .

وحين ذهبنا الى اعالي النهر ، وجدنا الكثير من الخيزران .. حصدنا بعضه ، وربطناه على شكل حزم ، سحبها الحمار إلى الضفة ، ثم جلسنا لنستريح ولنتناول الطعام . جاء «جاك» مسرعاً وهو يقول :

– اسرع ياأبي .. شاهدت العديد من الفيلة .. يوجد سهل فسيح هناك . وفيه يوجد عشرة أو خمسة عشر فيلاً .

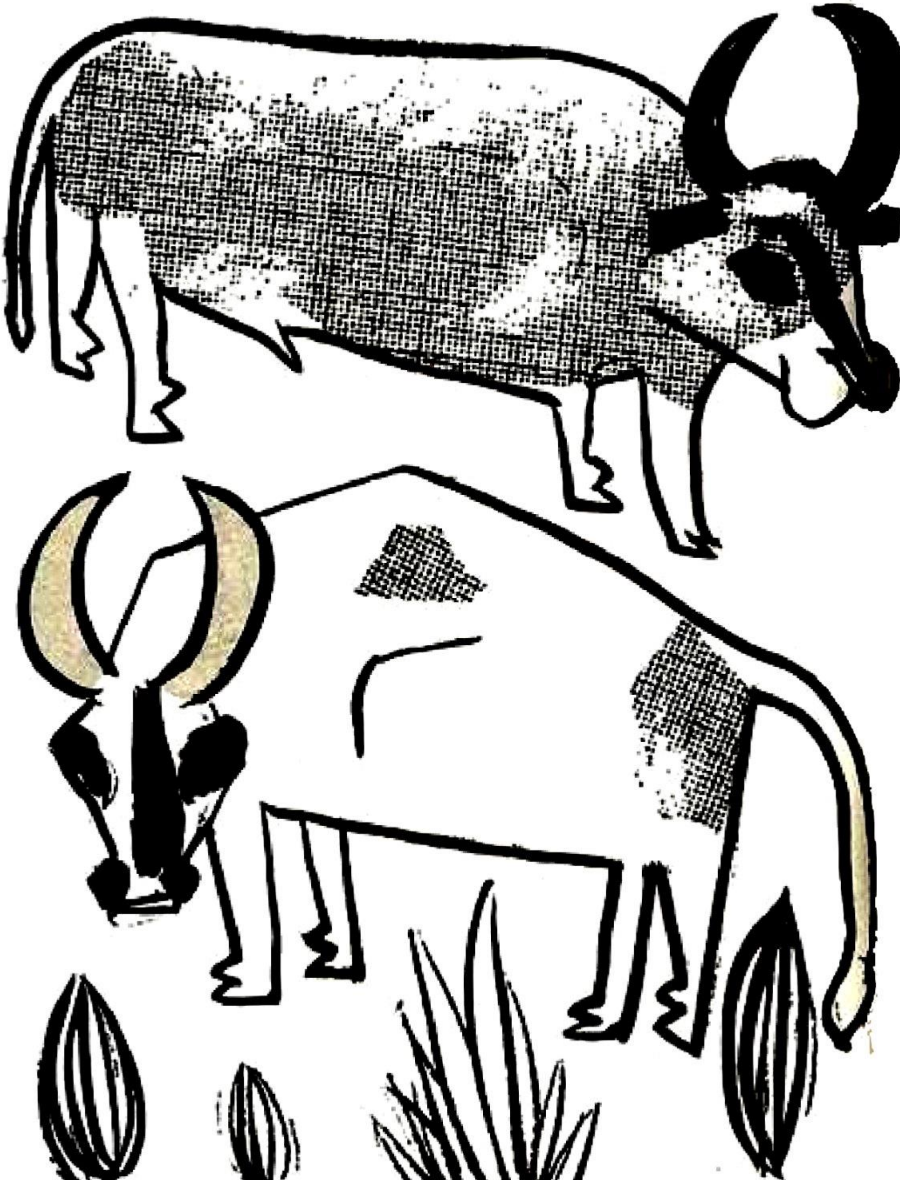
– ماالذي تقوله يا «جاك»؟ لاتعيش الفيلة في هذه المناطق . انها في الهند وفي افريقية .

– تعال ياأبي لتصدقني!

ذهبنا جميعاً بصحبة «جاك» لرؤية «فيلته» . فشاهدنا الكثير من الجواميس البرية مجتمعة .. اقتربنا منها شيئاً فشيئاً ، حتى اصبحنا على مقربة أربعين متراً منها . نظرت الجواميس الينا .. أظن انها لم تر انساناً من قبل . لم يبد عليها الغضب أو الخوف . شاهدت عجلين صغيرين بين القطيع .. وفجأة قفز «ترك» و «فلورا» وبدءا ينبحان ، وهنا غضبت الجواميس واتجهت نحونا .. كنا في خطر حقيقي . ركض الكلبان ، وحاولا ان يقودا العجلين باتجاهنا ، لكن الجواميس الباقية قدمت نحونا . لم نستطع أن نفعل شيئاً سوى أن نطلق النار أنا و «فرتز» . فسقط أحد الجواميس ميتاً ، وابتعد بقية القطيع .. ربما ان هذه الجواميس البرية ، لم تسمع صوت اطلاقة من قبل . لم أكن أظن اننا نستطيع التخلص من ذلك الخطر القاتل .. قلت لـ «فرتز» و «أرنست» .

– احضرا العجلين .. سنأخذهما معنا .

وضعنا حبلين حول رقبتي العجلين ، وقدناهما بسهولة . وانطلقنا نركض بالسرعة التي يركض بها العجلان .. قلت بعد قليل .



– العجلان سيفيدانا كثيراً جداً .. سترضعها البقرة .

ولم تخيب البقرة ظننا ، فارضعت العجلين .. قلت :

– سيكبر العجلان ، ونحصل منهما على عجول كثيرة ، وحليب كثير .. حليب الجاموس كثير الدهن ، سنصنع منه القيمر والزبد .. سيفيدانا في جر المحراث . الجاموس حيوان قوي جداً ..

رجعنا صباح اليوم التالي الى مكان الجاموس القتيل .. قطعنا لحمه وملحناه ، ووضعناه في براميل ، ليفيدنا في الشتاء ، حيث يشح الغذاء .. ثم انهمكنا بعد ذلك في صنع أسيجة الخيزران .. بعدها قلت :

– جاء الآن دور بناء الأكواخ .. وفي يوم من الأيام ، جاء «فرانسيس» نحوي راكضاً ، وهو يقول :

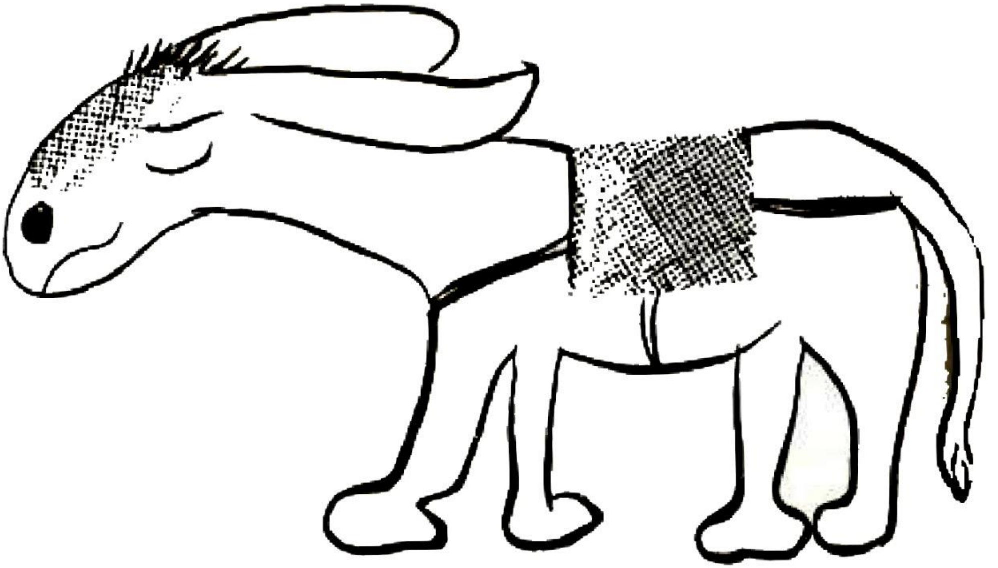
– أبي .. ولدت «فلورا» ستة جراء . تعال وشاهدها .

ذهبت الى مكان «فلورا» فشاهدتها مع جرائها .

وبينما كنا منهمكين صباح اليوم التالي في زرع البطاطا ، سمعنا صوتاً غريباً .. سمعته الكلاب فأخذت تنبح واستعدت للمواجهة .. كنا على اهبة الاستعداد نحن ايضاً .. وفجأة أطلق «فرتز» ضحكة ، وقال :

– القادم صديق! الحمار عاد .. ومعه ضيف يصغره .

نعم .. عاد حمارنا ، ومعه أخدر (٥) جميل الشكل ، حاولنا



الامساك به ، فلم نستطع .. ذهب «فرتز» اليه وهو يحمل بيده قبضة ملح .. حمارنا يحب الملح .. اقترب الحمار من «فرتز» ، وأخذ يلعق الملح من يده .. اتناه بدأت تقترب من «فرتز» ، فانتهزنا الفرصة ، ووضعنا حبلاً حول رقبتها ، فراحت تقاوم بشدة ، حتى انصاعت لنا أخيراً .. قلت :

– ستلد جحشاً وستكون أليفة ، وتتعلم بسرعة .

وهذا ماحدث فعلاً .

كانت الدجاجات ترقد على البيض .. وبعد فترة كان عندنا أربعون فروجاً لطافاً .. فصارت الحيوانات الصغيرة ملأت مزرعتنا ، فكان علينا أن نضاعف جهدنا للحصول على طعام اضافي .. موسم المطر قادم ، وسيشح الغذاء طبعاً . بدأنا نجمع الحشائش والبطاطا الحلوة وجوز الهند واليام ، ووضعناها في مكان جاف ، بالقرب من جذع الشجرة .



الاستعداد للشتاء

تلبدت السماء بغيوم سود . كان البحر هائجاً . بقايا سفينتنا حطمتها الأمواج وحملتها بعيداً . قلت لنفسي :

– سيكون هناك خشب كثير على الشاطئ ، لكن المياه ستغمر الشاطئ وتصل إلى الزورق وتغرقه .. سأنادي الاولاد ليسحبوا الزورق .

سحبنا الزورق . أشار «ارنست» إلى شيء في البحر ، وقال :

– ماهو ذلك الشيء المربع؟

نظرت إلى حيث أشار «أرنست» ، فرأيت صندوقاً مرمياً على الشاطئ . كان مغطى بالرمال تقريباً . حفرنا حوله

وأخرجناه ، وعندما فتحناه ، رأينا داخله مليئاً بملابس البحارة .. كانت المفاجأة جد سارة لنا ، بالرغم من أنّ ماء البحر قد أتلف قماشها .. قلت :

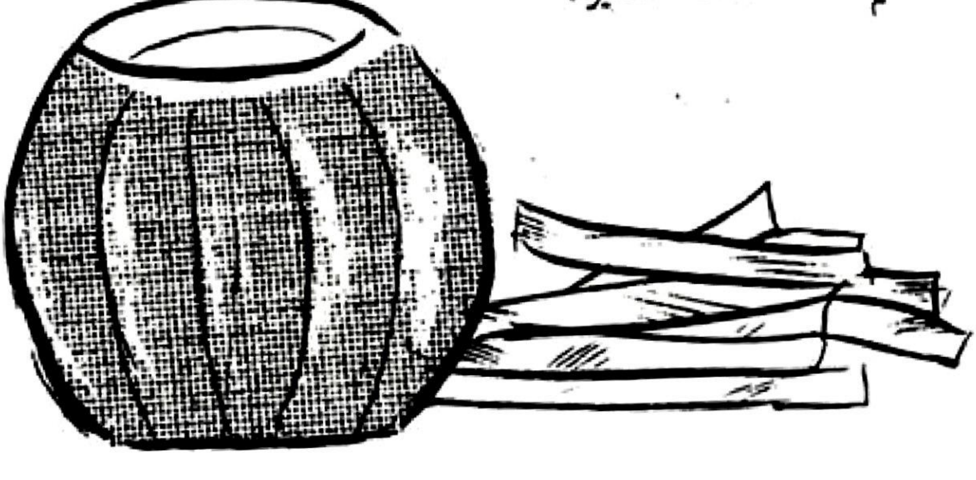
- سنغسلها بماء النهر ، ونجففها فيذهب الملح عنها .

- لكنها كبيرة الحجم بالنسبة لنا .

- هذا صحيح يا «جاك» ، لكن ماما ستخيطها من جديد لتناسبكم.

الشتاء على وشك الحضور .. نحتاج الى حطب جاف ، تطبخ به زوجتي الطعام ، لذلك جمعنا حطباً كثيراً وخزناه قرب جذع الشجرة ، ثم فكرت في مكان لخزن الطعام الذي سنأكله عندما يسوء الجو ، حيث يتعذر علينا الخروج . عندنا براميل مليئة بلحم الجاموس المملح . آمل ان لا يفسد .. ان الملح شح . والامواج غطت الصخور واذابت الملح .. عندنا بيض وسنارة تصطاد بها السمك . وعندنا«يام» وجوز الهند ..عندنا كذلك علف للحيوانات .. اننا مستعدون للشتاء إذن .. لكنني كنت مخطئاً .

نعم لقد اخطأت التقدير .







الشتاء

أظن ان الاشهر القليلة التي مضت ، كانت الاشد تعاسه في حياتي ؛ فقد واجهنا أربعة أعداء : المطر الاستوائي الغزير .. الريح .. البرد والنهارات القصيرة . كان المطر يهطل من السماء وكأنه نهر فائض .. كانت تمطر طوال اليوم . تقريباً . الماء كان يغطي الأرض بمساحات كبيرة لانستطيع عبورها . انكسر جسرنا ، ومن حسن الحظ ان ارض حديقتنا كانت مرتفعة . فبدأت نباتاتها تنمو .

عندما بنينا بيتنا في الشجرة ، لم اكن أظن ان الريح ستهب داخله بهذا الشكل .. الريح القوية والمطر الغزير أطارا السقف

المكوّن من قماش الشراع ، وسقط علينا نهر من المطر .

النهارات باردة ، وفي الليالي يشتد البرد . كنا نجلس طوال اليوم بملابس مبتلة ، ولا نملك طريقة لتجفيفها ، أما في الليل ، فلم نكن نعرف وسيلة نتدفأ بها . لم تكن عندنا نار . وضعنا حجارة على أرضية البيت ، وأشعلنا النار فوقها . غير ان الغرفة سرعان ماامتلأت بالدخان . خشينا من النار أن ستنتشر في الأرضية . لم نكن نملك طريقة نتخلص بها من الدخان ، إذا عملنا فتحة في السقف ، فأن المطر سينهمر على النار ويطفئها . كان الظلام يهبط فجأة عند حلول الليل . حتى النهار كان يميل إلى الظلام . لم نكن نملك ضوءاً . وجدنا بعض الحبوب الشمعية ، التي نسميها حبوب الشموع . كانت تحترق وتعطي ضوء خافتاً جداً ، لم يكن ينفع لأي شئ ، لذلك كنا نجلس في المساء ، على هيئة دائرة ، بملابسنا المبتلة .. نرتجف من البرد ، وكان يتحتم علينا الذهاب إلى الفراش . لم نكن نقدر أن نظل على هذا المنوال ، فقلت :

– يجب ان ننزل إلى اسفل ، ونسكن تحت جذع الشجرة . سننشر قماش الشراع فوق هذه الأرضية ، وسنحصل على سقفين ؛ السقف الذي صنعناه في الشجرة ، والسقف الذي سنصنعه فوق هذه الأرضية .. ولن نبتل في مسكننا الجديد .

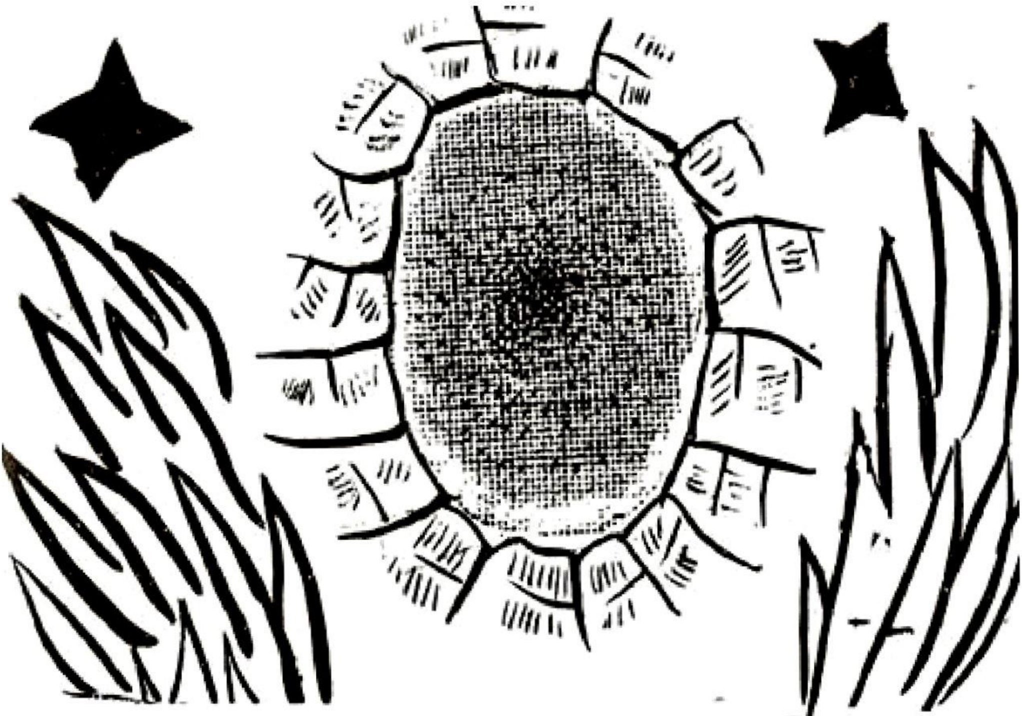
بنينا جدارين على جانبي غرفتنا ، أسفل الشجرة . على الجانب الآخر كانت هناك أكواخ الحيوانات ، أما في الجانب

الرابع ، فكانت الشجرة نفسها . صنعنا ثقباً في أرضية الغرفة العليا ، لنجعل دخان النار يخرج منها ، ولم يكن هناك مجال للمطر ينزل على النار . تحسنت حالنا كثيراً في غرفتنا هذه ، لكن رائحة الحيوانات الكريهة ، كانت لاتطاق .

بعد فترة ، بدأنا نعاني من شحة الطعام . لحم الجاموس فسد ، لأننا لم نضع فيه الكفاية من الملح . ذبحنا عدداً من الدجاجات الكبيرة ، وأكلناها . كان الاولاد يخرجون أحياناً ، عندما يتحسن الجو ، فيعودون بحيوان صغير أو سمك . كان عندنا «يام» ، لكن الطبخ كان صعباً جداً . وعندما كان الجو جيداً ، كانت زوجتي تصنع لنا خبز اليام ، يكفينا لعدة أيام . لم يكن طعام الحيوانات يكفيها ، لذلك أطلقنا سراحها ، بعد أن وضعنا أجراساً في أعناقها ، صنعناها من قشور جوز الهند . لكننا لم ننس أن نضع طعاماً قليلاً في الاكواخ كل ليلة ، لتعود الحيوانات اليها .

° ° °





الكهف

لاتسألوا عن فرحتنا عندما انتهت الاسابيع المطيرة الطويلة . وأشرقت الشمس ثانية ، وانتهت العواصف . خرجنا من غرفتنا المظلمة النتنة ، ونظرنا إلى السماء الصافية ، والشمس المشرقة . كانت الحشائش الخضراء تحيط بنا .. الازهار منتشرة في كل مكان .. نباتات حديقتنا نمت بصورة رائعة ، غير ان الطيور اكتشفتها ، فعينًا «جاك» لحراستها ، بمساعدة «فلورا» لطرد الطيور . شبكة صيد السمك كانت مفيدة جداً في حماية حديقتنا من اللصوص ذوي الريش! علقنا ملابسنا المبتلة في الشمس لتجف . ورحنا نعمل في ترميم بيت الشجرة ، حتى اصلحناه ،

وصعدنا اليه .. قالت زوجتي :

- سنكون سعيدين في هذا البيت الجميل . حتى الشتاء القادم .. أوه! لااستطيع أن اتحمل مرة اخرى ذلك الشتاء الفظيع الذي مر علينا! أنني متأكدة ان الانسان القديم الذي عاش قبل الآف السنين . لم يكن يعيش في بيوت مبنية على الاشجار . مثل القردة .. كان يعيش في كهوف .. علينا العثور على كهف .

زوجتي كانت على حق . ذهبت أسير بمحاذاة الشاطئ . انظر الى التلال المواجهة للبحر . باحثاً عن كهف . لم أجد واحداً يتسع لعائلتي . عدت وأخبرت زوجتي والاولاد . بأنني لم أعثر على كهف .. قال «فرتز» :

- حسن .. إذا لم يكن الكهف كافياً . فسنحفره ونكبّره .

- تستطيع أن تجرّب .. لكن الصخور صلبة جداً . ولاادري ان كان هذا ممكناً . سآخذك معي إلى احسن كهف وجدته . انه منخفض . ربما صنعه البحر في وقت ما . لكن الأرض ارتفعت . وانخفض البحر . تاركاً ذلك الكهف هناك . تعال معي واجلب الأدوات . وسنرى ماذا نستطيع عمله .

ذهبنا إلى الكهف . عملنا لمدة اسبوع . ولم نستطع سوى تعميق الكهف إلى مترين . كانت الصخور صلدة جداً . فكرت في أن نصنع حفرة . ونضع فيها بعض البارود ونفجره . فيتسع الكهف . لكن البارود يفيدنا .. قلت لـ «فرتز» :

– هل نتخلى عن فكرة هذا الكهف؟ هل تفكر في بديل له؟
– مادمنا بدأنا نحفر فيه ياأبي ، فارى ان نستمر .. بدأت احس ان الصخور أخذت تلين .. احفر هنا ستجدها منطقة رخوة .

لما كان «جاك» اصغرنا ، فقد كان يحفر في أعمق جزء حفرناه . وفي صباح احد الأيام ، سمعناه يصيح :

– لقد فعلتها! اخترقت الصخرة!
– ماذا تقول يا «جاك» ، وعاد مسرعاً وهو يقول :
– «جاك» على حق ياأبي .. تستطيع ادخال القضيب خلال الصخرة ، وتحركه بسهولة .

كنت مستغرباً الأمر ، فأخذت خيزرانة ، ووضعتها في الثقب ، وقلت :

– نعم .. لايوجد خلفها شيْ .
– لنوسع الحفرة ، حتى يستطيع أحدنا الدخول فيها .
– يجب ان نكون حذرين يا «جاك» . إذا ذهب احدكما في الحفرة ، فقد يسقط ويتعرض لأخطار . لنوسع الحفرة قليلاً ، بحيث تسمح لادخال رأسي فيها .

كبرنا الحفرة ، وأدخلت رأسي فيها . وفجأة شعرت بأنني مريض جداً ، فاخرجت رأسي وقلت للولدين :

– احذرا يا ولديّ . لاتدخلا الكهف ، إذا كان هذا كهفاً . فان الهواء فيه فاسد وقاتل . علينا اخراج هذا الهواء أولاً .

تساءل «فرتز» :

–كيف نفعل ذلك ياابي ؟

– نشعل نارا ! .

وضعنا خشائش وعُصياً محترقة داخل الكهف ، لكن النار انطفأت بسرعة . لم اجد شيئا ينفع اكثر من البارود . اخذت بعض قشور جوز الهند ، وملأتها بالبارود ، وربطتها بالحبال ، واشعلت واحدة ورميتها داخل الكهف . كان الانفجار عاليا جدا ، فخرج الهواء الفاسد مع الدخان . ثم احدثت انفجارين اخرين ، ثم جربنا اشعال النار داخل الكهف ، فنجحنا هذه المرة ! اشتعلت النار زرقاء . قلت لـ «ارنست» :

– اسرع الى البيت وعد بحبوب الشمع .. ستضيء لنا الكهف عندما ندخله .

عندما ذهب «أرنست» ، كبرنا الفتحة ، فدخلت الشمس الى الكهف ، واستطعنا أن نرى الجدران القريبة من المدخل .. نظر «جاك» وقال :

– انه يشبه كهف الجنيات ، الجدران مكسوة بالجواهر . انه رائع ! نظرت إلى الدخل ، فعرفت ان «جاك» كان على حق . الجدران كانت مكسوة بالبلورات .. قلت :

– هذا شيء غريب ! بلورات أي شيء هذه؟ بالطبع توجد بلورات السكر وبلورات الملح ، وبلورات معادن كثيرة ..

الجواهر نفسها بلورات !

. عاد «ارنست» من البيت ، ومعه الشموع . دخلت أنا أولاً ، لأتأكد من نقاوة الهواء نظرت الى الجدران .. رأيتها مغطاة بالبلورات حقاً . بعضها سقط على الارض وتحطم بسبب الانفجار طبعاً . أخذت بعضها وتذوقته ؛ انه ملح ! ملح ! لن نحتاج إلى ملح مرة أخرى ! في الشتاء القادم عندنا الكثير من الملح ليحفظ لنا اللحوم .

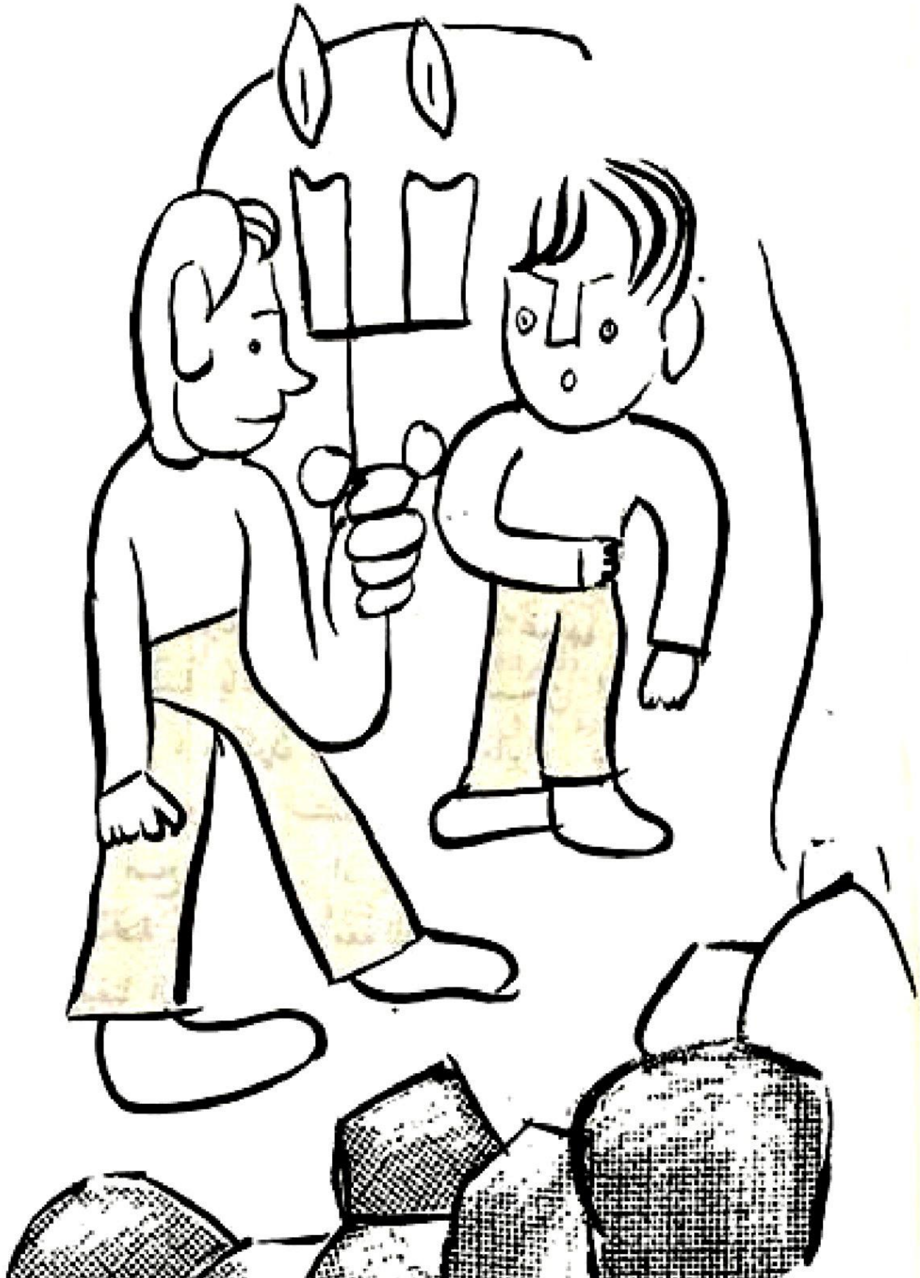
كان كهفاً كبيراً جداً ، وكان بالامكان صنع مخزن في احدى نهاياته ، وغرفة نوم . كما كانت توجد غرفة كبيرة يمكن استعمالها كمطبخ وغرفة جلوس .. قلت :

– شيء يجب أن نفعله حالاً . أنا أظن ان نهاية الكهف هذه ليست بعيدة جداً عن الهواء الخارجي . سأضرب صخرة داخل الكهف ، وأريد منك يا «فرتز» أن تذهب خارجا ، وتصغي بانتباه . وتخبرني اين تسمع صوت الضرب ، على اوضح مايكون ضع عصا لتؤشر المكان .

خرج «فرتز» ، وبدأت اضرب جانب الكهف ، في اماكن مختلفة . وبعد فترة عاد وهو يقول :

– وجدت احسن مكان سمعت منه صوت الضرب .

– رائع يابني .. ليس من الصعب اذن ان نحفر ثقبا من هناك لنجعل الهواء المنعش العذب يدخل الكهف .. العمل شاق ولكن يجب انجازه .



كان العمل شاقا .. وبعد يومين استطاع «فرتز» ان يدخل خيزرانة في الفتحة فظهرت نهايتها في الكهف .. عندها وسعنا الحفرة من داخل الكهف .. قلت :

– نستطيع الآن ان نصنع موقدا ومدخنة . المدخنة في الخارج والموقد في الداخل .

بدأنا نعمل ، ونحن نستعمل الحجارة والتراب .. صنعنا موقدا جيدا ، ومدخنة .. قلت :

– والآن ياأولاد ، سنرى ان كانت المدخنة تعمل .

اشعلنا النار ، لكن الدخان دخل الى الكهف .. فشعر الولدان بحزن شديد فقد ظنا ان عملهما قد فشل .

– لا تبتئسا ياعزيزيّ .. عندما تسخن المدخنة ، فان الهواء سيرتفع ، ويكون كل شيْ على مايرام . دعوا النار تشتعل لمدة يومين ، وعندما ستسخن المدخنة ، ستعمل كما تحبان .

صح ماقلته .. اذ بدأ الهواء في الليلة الثانية يخرج من المدخنة ، وهو ينفث معه الدخان خارج الكهف .. والآن لم يعد يخيفنا الشتاء القادم .

كانت زوجتي سعيدة جدا ، فقالت :

– استطيع الآن ان اطبخ واجفف ملابسكم ، ونلتف حول نار براقة رائعة ، في اماسي الشتاء . سنكون سعيدين جدا .

مازال بانتظارنا عمل كثير . الكهف بعيد نوعا ما عن البيت . عندما عدنا في المساء الى البيت الشجرة ، رأيت

«ارنست» صامتا ، فسألته عن السبب ، فقال :
– الطريق طويل من الكهف الى البيت .. في الشتاء يتعين علي الرواح والمجئ مرتين في اليوم ، لاطعام الحيوانات ، وجمع البيض وحلب الماعز ..
قال «فرتز» ضاحكا :
– ربما يخاف «ارنست» من البلل او ربما من التعب .
– لا يابني .. «ارنست» على حق .. المسافة بعيدة . في الشتاء القادم . ستكون عندنا حيوانات كثيرة .. هل فكرت بذلك ؟ الخراف والماعز ستلد .. سيرقد البط والدجاج على بيضها .
– وسيكون عندنا الكثير من القردة ، ياابي ؟
– لا يا «جاك» . اظن «القرد» قد يذهب ، وتكون له عائلة ، ويعيش مع بقية القردة ، في الغابة ..
– لا .. لا . يجب ان يبقى معنا .
قال «ارنست» :
– يتوجب علينا اذن ، ان نبني أكواخاً كثيرة ، بالقرب من بيت الشجرة .
– لا يا «ارنست» .. سنبني مزرعة في منتصف الطريق ، بين بيت الشجرة والكهف ، حيث تفيدنا صيف شتاء .
– سنحتاج الى كمية كبيرة من الطعام .
– هذا صحيح يا «فرتز» .. كم كنت حكيما عندما جلبت المحراث من السفينة .. كبر الجاموسان . وبمقدورهما الآن ان يجرا المحراث .

هذا سيساعدنا كثيرا في حرث أراض جديدة وزراعتها .. سنزرع الذرة والبطاطا واليام والفاصولياء ونباتات خضر .. فهيا الى العمل ! الى العمل !

انطلقنا جميعا نعمل .. وقضينا صيفا مزدحماً بالعمل . خزنا لحما مملحا وسمكا مجففا وجوز هند ، في الكهف وعند نهاية السنة ، خزنا البطاطا واليام ، وصنعنا مخزنا في المزرعة ، وضعنا فيه الحشائش الجافة ، واعلافا اخرى للحيوانات . بنينا ايضا كوخا صغيرا يستطيع الواحد منا ان يعيش فيه ليراقب الحيوانات ليلا ، ويبعد الحيوانات المفترسة عنها . سألتني زوجتي :

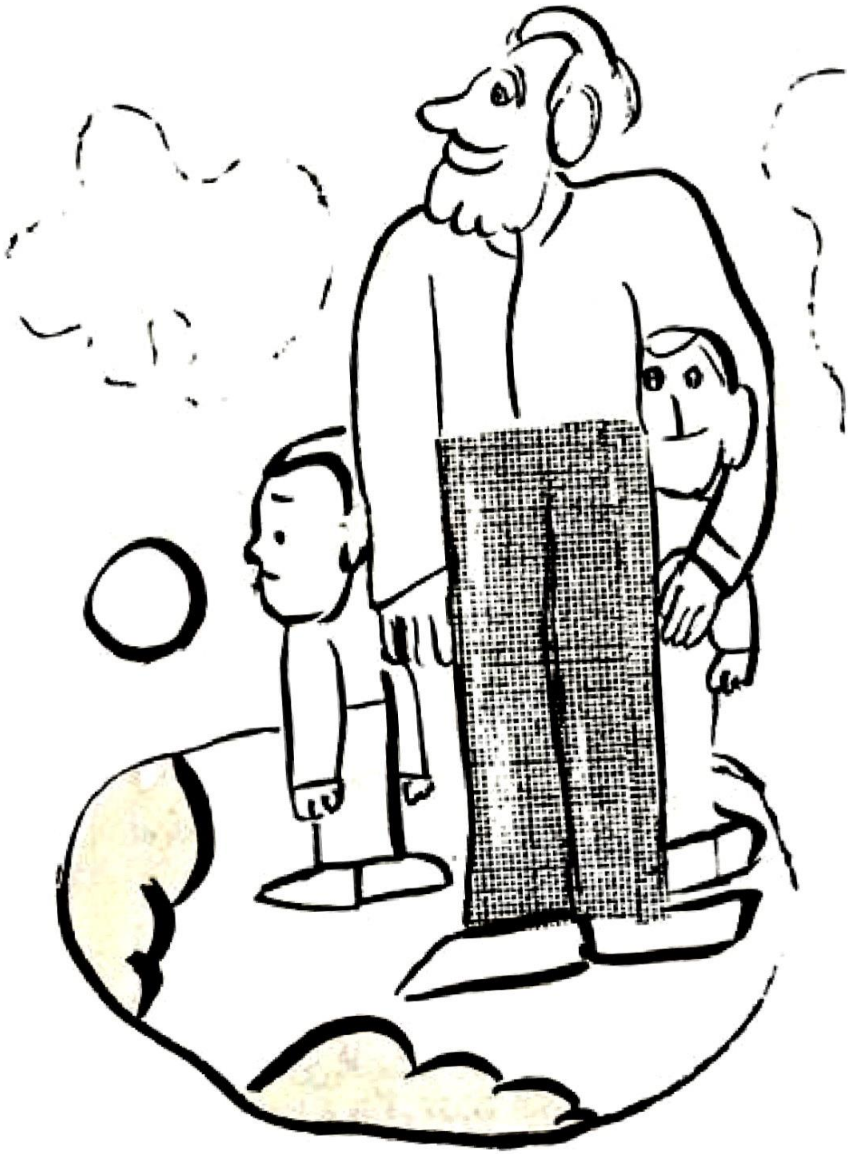
– ماذا بشأن الملابس ؟ ملابس الاولاد التي جلبناها من السفينة شبه ممزقة ، وملابس البحارة التي حصلنا عليها من الصندوق ، ليست بحالة جيدة اتلفها ماء البحر .. ربما ستظل صالحة للاستعمال سنة اخرى فقط . يجب ان اصنع قماشا .

– كيف تصنعين قماشا يامي ؟ من اي شيئ ؟ نحن لا نملك سوى خروفين ..

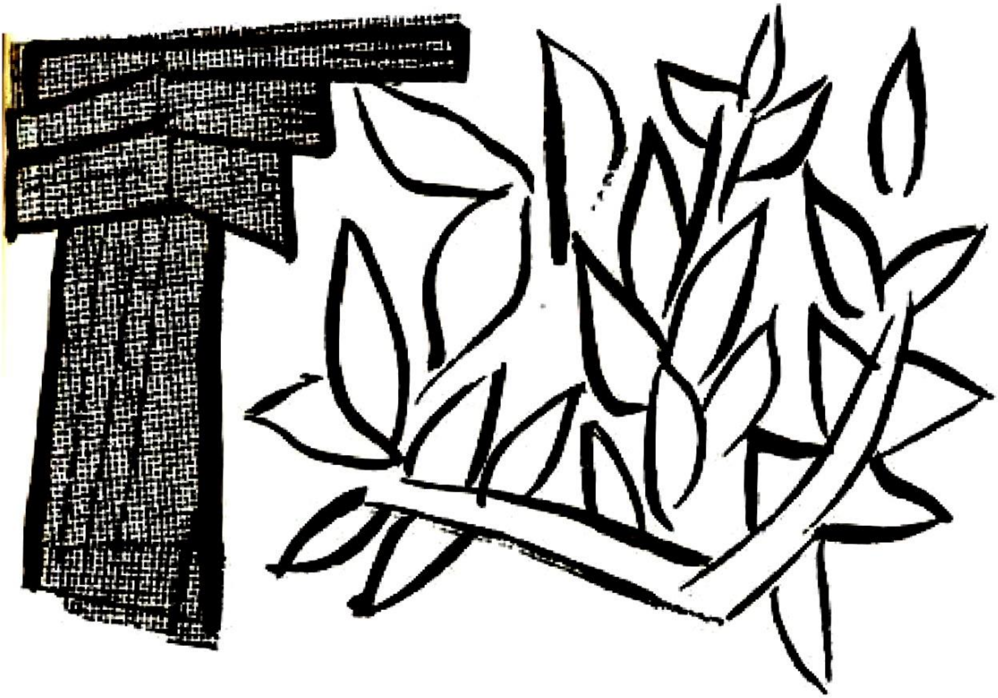
– توجد نباتات يا «فرتز» ، تفيد في صنع الاقمشة .

لن اخبركم بالصعوبات التي جابهتنا في صنع الملابس ، لكن زوجتي نجحت في صنعها وخاطت لنا بعضها .. جلود الحيوانات نفعتنا في صنع الملابس ايضا .

انقضت السنة .. والسنة الثانية في الجزيرة .. كبر الاولاد



واصبحوا اقوياء .. «فرتز» يقترب من السادسة عشرة الان ، و«ارنست» من الرابعة عشرة . وكان «جاك» يتعلم بسرعة ، ويساعد امه كثيرا ، اما (فرانسس» الصغير ، فقد كان ولدا طيبا ، لايحدث الامشاكل لاتكاد تذكر .



السنوات تمر

بينما كانت السنوات تمر، كانت بيوتنا تتحسن اكثر فأكثر. صنعنا سقفاً خشبياً لبيت الشجرة، منع المطر من الدخول اليه. كما صنعنا سلماً خشبياً، بدلاً من سلم الحبال. وبنينا غرفة في مقدمة الكهف، نجلس فيها ونشم هواء البحر المنعش، واشعة الشمس. وصنعنا ايضاً شبابيك صغيرة للكهف.

كبرت المزرعة. كان الجاموسان يسحبان المحراث الذي أفادنا كثيراً. وقدرنا ان نصنع عربة ذات عجلات من خشب. كانت ثقيلة جداً، لكن الجاموسين كانا يسحبان بسهولة، وكانا

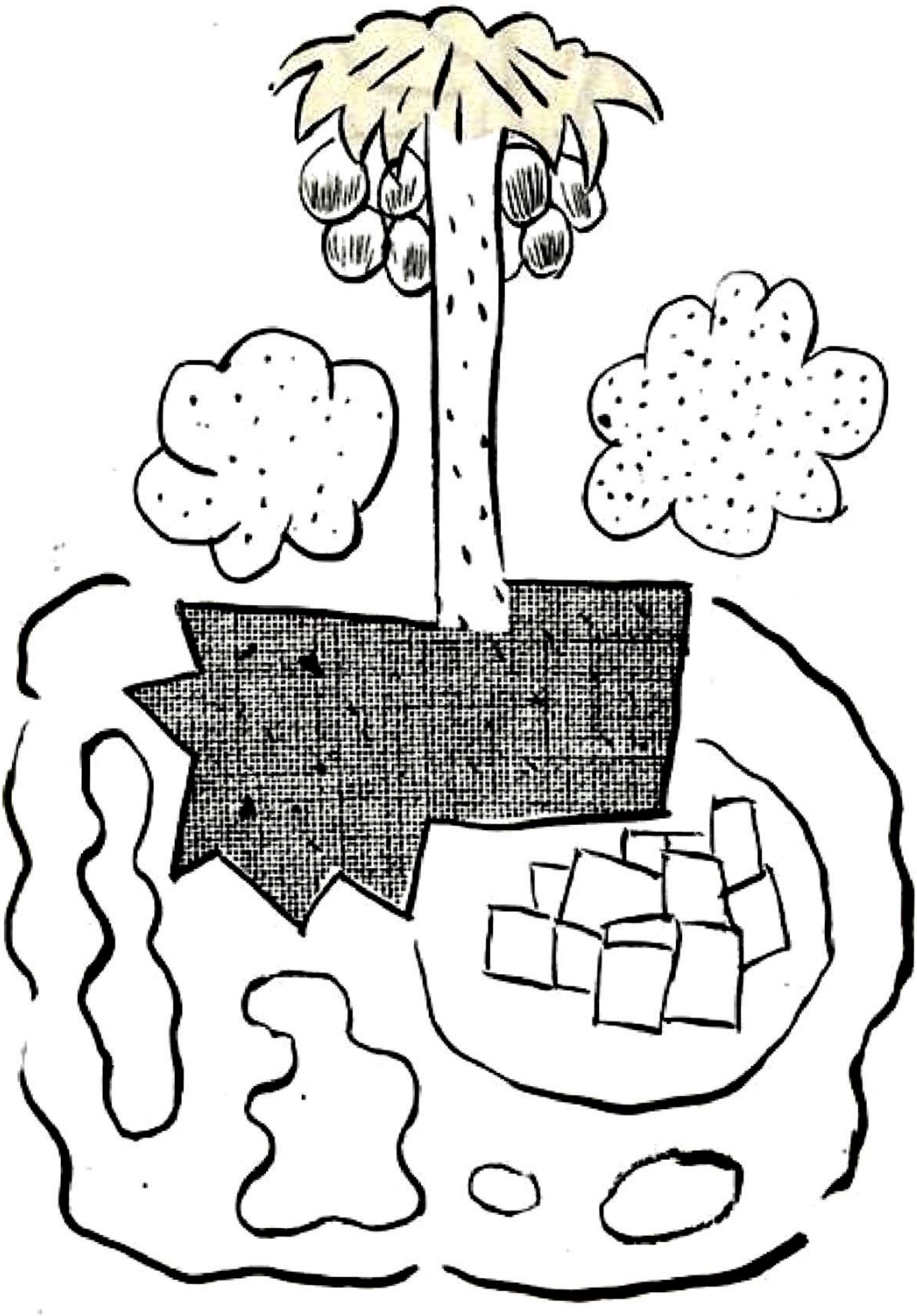
يعطيانا الحليب الذي نحتاجه ، ونصنع منه الزبد .

أصبح البيض عندنا متوفراً جداً «الاخدر» وضعت جحشاً لطيفاً . كان يتعلم بسهولة .. وكانت لدينا حقول كبيرة مسيجة جيداً ، وكنا نزرع فيها مانحتاجه من طعام لنا ولحيواناتنا . لكن حياتنا لم تخل من بعض المشاكل ففي احدى المرات هاجمت القردة مزرعتنا ودمرتها اذ بعثرت كل شئ فيها ، وقلعت نباتاتها ، وسياجها .. حتى قلت :

– يجب ان لايحدث هذا ثانية .

قررنا ان ينام احدنا بالقرب من المزرعة ، ومعه الكلبان اللذان دربناهما على مهاجمة القردة وابعادها . جاءت القردة مرة او مرتين . ولكن في كل مرة ، كان الكلبان في انتظارها ويطاردانها ، حتى انقطعت عن المجئ تماماً .

اشتد ساعد الاولاد .. كان «فرتز» طويلاً وقوياً جداً ، وكان «ارنست» كبيراً ، وكان يدون اسماء النباتات التي يراها في الجزيرة ويرسم صوراً لها . كان يصنع الورق من الاوراق الطويلة ، كما كان يفعل المصريون القدامى . بدأ «جاك» يساعدنا كثيراً ، في اعمال المزرعة ، اما «فرانسس» فقد بدأ يساعد امه كثيراً .





المشحوف

في احد الايام ، قال لي «فرتز» ..

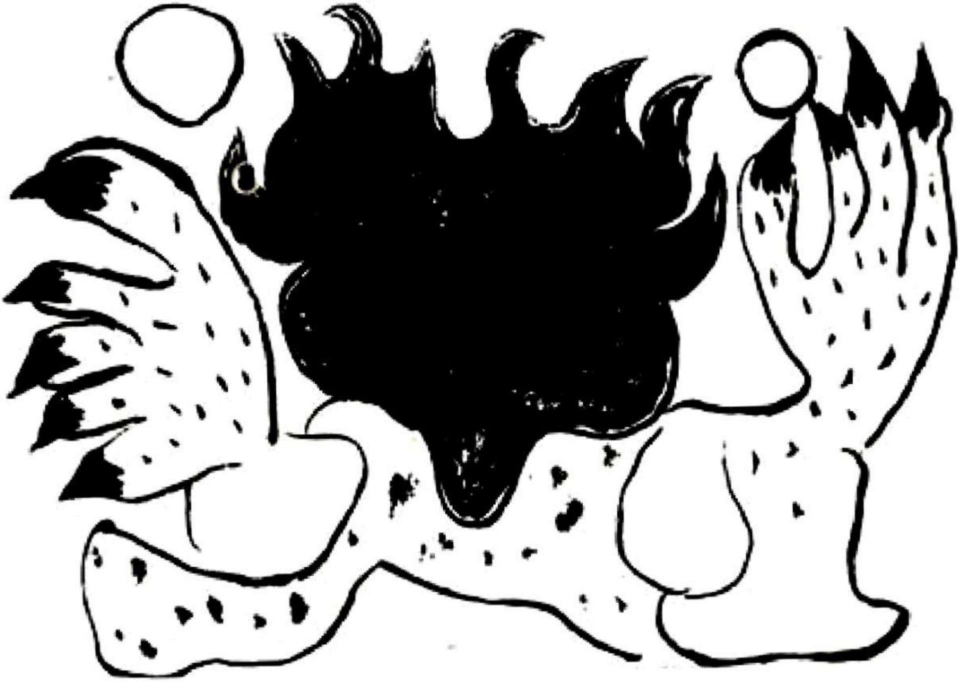
– ابي .. اريد ان اذهب واستكشف اجزاء هذه الجزيرة التي لم نرها . زورق السفينة كبير جداً لشخص واحد يبحر فيه .. اريد ان اصنع مشحوفاً .

– نستطيع ان نصنع واحداً يابني .. المشاحيف تصنع احياناً من لحاء الاشجار .. دعني ارى ان كنت استطيع مساعدتك .

وجدنا شجرة كبيرة ذات لحاء جيد وقوي .. اخرجنا لحاءها بعناية ، لئلا ينكسر جزء منه . اخذنا قطعاً من الخيزران وقصب السكر، وثبتناها في اللحاء ، لنحصل منه على الشكل الصحيح للمشحوف كما وجدنا سائلاً يسيل من احدى الاشجار ، يجف بسرعة ، فاستخدمناه في صنع المشحوف .

بعد عدة ايام من العمل الدقيق ، انتهينا من صنع المشحوف ، وتدرب «فرتز» على قيادته، حتى مهربها .

..



جني

في احد الايام انطلق «فرتز» بمشحوفه . فانقضى النهار ، وجاء الليل ولم يعد... قلقت زوجتي عليه كثيراً . صعدنا في اليوم التالي على تل مرتفع ، ونظرنا باتجاه البحر ، لكننا لم نر اثراً له .. وفجأة أشار «ارنست» قائلاً :

– انظروا الى ذلك الشيء الاسود الصغير .. انه بعيد جداً .

نظرنا نحو ذلك الشيء ، الذي بدأ يقترب اكثر فاكثر .. لقد كان «فرتز» .

ركضنا نحو الماء لملاقاته .. وعندما كان يتناول فطوره ، حكى لنا قصته :

– رغبت دائماً في معرفة الأرض الواقعة في الجوار ، فاخذت معي بندقيتي وسنارتي وسكيني ، وذهبت اسبح هناك .. وجدت الكثير من المحار، وجلبته الى الشاطئ . وعندما فتحته ، وجدت فيه هذا الشيء .

ارانا ماوجده .. كانت لؤلؤة كبيرة . لقد وجد «فرتز» لآلئ كثيرة في تلك المحارات .. قال «جاك» .

– اذ اثقبتها نستطيع ان نصنع منها قلادة لماما .

– لايابني .. لاأريدها .. بماذا تفيدني هذه القلادة ؟ ستنفعنا هذه اللآلي يوماً ما ياأولادي .. انها ثمينة جداً . ربما ستأتي سفينة وتأخذنا الى اوربة ، حيث نحتاج هناك الى نقود .. هذه اللالئ تباع بنقود كثيرة.

– لم اخبركم بعد باهم حدث في القصة .. توغلت في الجزيرة ، وفي المساء جلست على الشاطئ لتناول الطعام ، فشاهدت طيراً كبيراً يطير ببطء وصعوبة . رميته فسقط ، ووجدت في ساقه قطعة قماش مربوطة ، مكتوب عليها :

«النجدة .. يوجد بحار في الجزيرة المدخنة» .

ولكن اين الجزيرة المدخنة ؟ تسلقت التل الذي بجانبي ، ونظرت نحو البحر .. وبعيداً ، شاهدت عموداً من الدخان يرتفع في السماء .. كان قادماً من جزيرة صغيرة .. قلت

لنفسي : «يجب ان اذهب» سحبت مشحوفي من الرمال ، وانطلقت نحو الجزيرة . شاهدت فيها القليل من الاشجار ، وكوخاً صغيراً مصنوعاً من الاغصان ، وفي مقدمته يوجد موقد نار ، كان يطبخ عليه سمك . في محارة كبيرة . اختفيت خلف شجرة ، وانتظرت ، فشاهدت شخصاً يرتدي ملابس بحارة ، اقترب من الموقد .. كانت فتاة شابة .. اقتربت منها ، وطلبت منها ان .. لاتخاف ، واخبرتها عن جزيرتنا وعنكم .. يجب ان نعود اليها يا أبي ، ونحضرها .

– نعم ، نعم يابني .. ولكن اخبرني المزيد عنها .

– والدها هو السير «وليم مونترز» ضابط في الجيش . توفيت امها اثناء ولادتها . كان والدها عائداً من سفرة في سفينة حربية مع رجاله ، و «جني» فكانت في سفينة أخرى ، حيث ضلت الطريق في عاصفة ، منذ اكثر من سنة .

نزلت في زروق مع ضابط سفينة وبعض البحارة .. اعطاها الضابط سترته ومرقابه، وطلب ان تراقب اية سفينة قادمة .. وفجأة هبت عاصفة قوية ، لم تدر بعدها ماحدث ، غير انها وجدت نفسها على تلك الجزيرة الصغيرة ..

– وماذا كانت تأكل ؟

– سألتها عن ذلك ، فأخبرتني انها كانت تأكل المحار ، كما انها وجدت بعض ثمار جوز الهند على الاشجار ، وصنعت شصاً من

دبوس ثوبها . وخيطاً من شعرها . وكانت تصطاد السمك الصغير . وتستعمل عدسة المرقاب في اشعال النار . ولحسن الحظ . امسكت بذلك الطائر الكبير . وعلقت في رجله قطعة القماش ..

– ابي .. هل سنذهب الآن لانقاذها ؟

– نعم .. حالاً !

هيأت زوجتي ماقد تحتاجه «جني» واخذت طعاماً . وابحرت مع «فرتز» بزورق السفينة . كانت «جني» واقفة على الشاطئ . تؤشر الينا كلما اقتربنا . وعندما وصلنا . وضعت ذراعيها فوق عنقي . ومنعتها الدموع عن الكلام .

اثناء عودتنا . كان «فرتز» يؤشر لها الى بعض الاماكن :

– هناك ! في ذلك المكان جاء طيرك .. في هذا المكان وجدت الكثير من اللآلئ الرائعة .. سفينتنا انحرفت على هذه الصخور .. اقمنا خيمتنا في هذا المكان بالضبط .. هذا هو مصب النهر . انظري الى الجدول وسترين مكان الجسر .. وهناك ..»

اراد «فرتز» ان يقول : «بيت الشجرة .. » لكنه توقف عندما شاهد امه واخوانه الثلاثة على الشاطئ استعداداً لاستقبال «جني» .

رحبت زوجتي والاولاد ب «جني» ترحيباً حاراً . وقادتها

وهي تقول :

سألبسك ملابس اولادي .. انها الملابس الوحيدة التي عندنا .

استحمت «جني» وارتدت ملابس البحارة . وجلست معنا لتناول طعام خاص اعدته زوجتي على شرف قدوم الضيفة . والبسها «جاك» تاجاً من الزهور البرية .

ظن الاولاد انهم سيعلمون «جني» الكثير لكنهم اصيبوا بالذهول عندما اكتشفوا انها امهر منهم في الصيد ، صيد الطيور وصيد السمك ومعرفة اسماء الزهور . غير انها ماانقطعت تفكر بابيها . فقالت :

– اذا نجا ابي من سفينتي . فسيخبر ابي . واني سيرسل سفناً للبحث عني وانقاذي .

– اذا جاءت سفينة . فان قبطانها قد يطلق النار من مدفع . واذا اجبناه فانه سيعرف اننا هنا .. يوجد مدفع صغير في سفينتنا .. ربما نستطيع اخراجه من السفينة الغارقة .

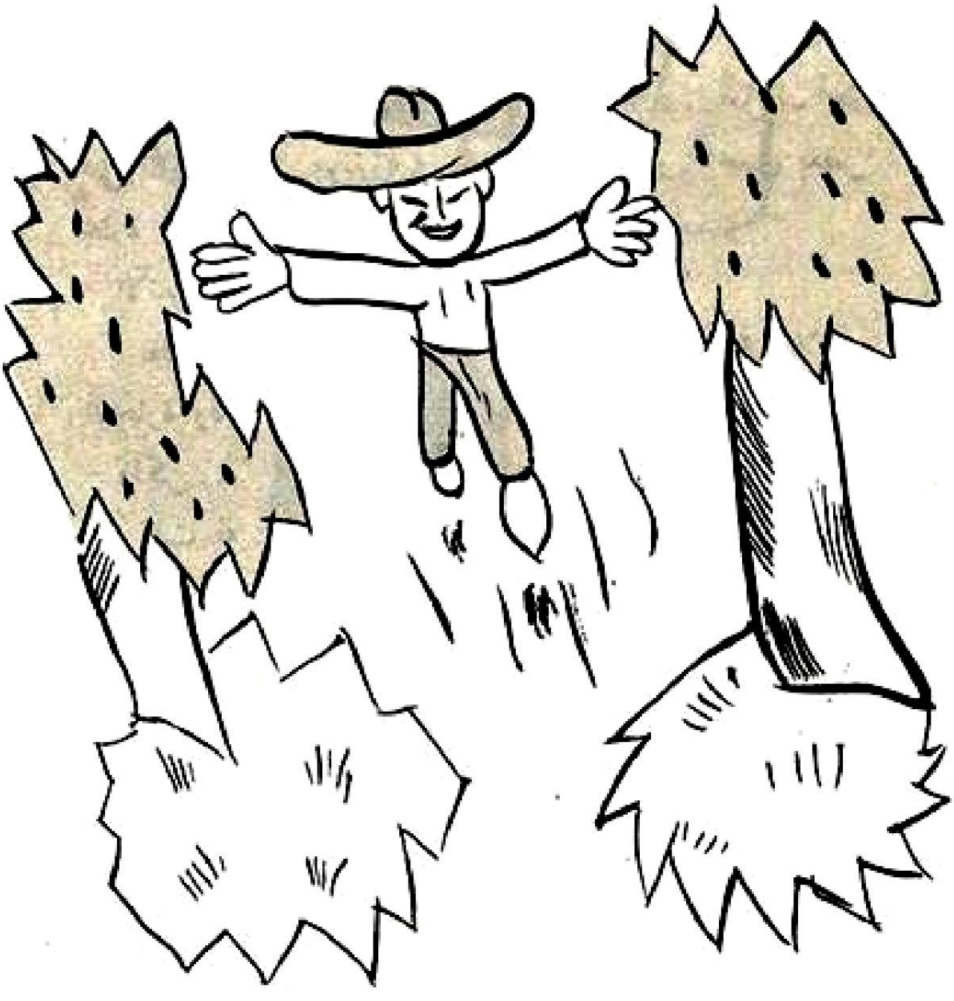
وجد الاولاد المدفع . واخرجوه بصعوبة . ووضعوه في مكان مرتفع بالقرب من الكهف . ووضعوا قربه الكثير من الخشب . ليضرموا ناراً ودخاناً .. قالت «جني» :

– انا متأكدة ان سفينة ستأتي يوماً . وتعيدني الى ابي .. انا سعيدة جداً معكم . ولكن لابد ان ابي حزين جداً

لفراقي ، ولايعرف ان كنت حية او ميتة .

مرت الاسابيع والشهور . انتهى الصيف وجاء الشتاء بامطاره . سكن «فرتز» و «ارنست» في المزرعة لحمايتها من القردة والحيوانات الوحشية . عشت انا وزوجتي و «جني» والصغيران في الكهف .

انتهت الامطار .. نما العشب الاخضر ، بوفرة ، وامتلأت الغابات بالزهور . وفي احدى الصباحات ، خرج «فرتز»



بمشحوفه . ليصطاد لنا سمكة كبيرة شهية للغداء . لكننا رأيناه يعود مسرعاً وهو يقول :

– بسرعة .. بسرعة .. المدفع ! توجد سفينة !

اسرعنا الى مكان المدفع ، واطلقناه ، واشعل «ارنست» النار ليصنع دخاناً .. وسرعان ماسمعنا صوت اطلاقة .. انها جواب لاطلاقتنا .

انتظرنا ، ثم اطلقنا اطلاقة اخرى، وجاء الجواب اقرب واوضح .. ثم شاهدنا زورقاً يقترب باتجاه شاطئنا .. اسرعنا لملاقاته . نزل منه ضابط وقال :

– انا القبطان «لتلتون» قبطان سفينة «يونيكورن» .. آمل ان أعثر على الانسة «جني مونترز» في احدى هذه الجزر . اخبرني بعض بحارة سفينتها ان السفينة فقدت قريباً من هنا .

– الآنسة «جني» هنا بأمان ..

نظر الي والى افراد عائلتي ، ثم الى «جني» وهي في ملابس البحارة وقال :

– ولكن ..

قلت له :

– هـــــذه زوجتي .. ابني «فرتز» .. «ارنست» .. «جاك» .. «فرانسس» .. وهذه .. هذه «جني» ..كأي واحد من افراد اسرتنا .





النهاية

اكتب هنا الفصل وانا كسير القلب ، حزين . سفينة «اليونيكورن» . تنتظر لتأخذ قصة حياتنا هذه التي ربما ستطبع في كتاب .. وسيتعلم الكثيرون منها اصرارنا على الحياة في جزيرتنا الجميلة هذه ، وتغلبنا على الصعوبات .

سألت اولادي ان كانوا يرغبون في الذهاب الى اوربة ، او البقاء هنا .. قال «ارنست» :

– سابق .. ساتعلم الكثير عن النباتات ، ولكن على القبطان ان يرسل لي الكتب المهمة .

– سابق .. سأتعلم الكثير عن النباتدت ، ولكن على القبطان ان يرسل لي الكتب المهمة .

أما «جاك» و «فرانسس» كانا صغيرين جداً على الذهاب لوحدهما .. نظرت نحو «فرتز» وقلت له :

– وانت يا «فرتز» .. هل تريد الذهاب ؟

اخذ يد «جني» في يده ، وقال :

– نعم .. سنذهب الآن ، ولكن سنعود .

ترك لنا القبطان بعض المؤن والاشياء المفيدة، واعطيناه اللآلئ ليبيعها لنا ، ويدفع منها مصاريف مدرسة «فرتز» ويشتري لنا بعض التجهيزات والعدد .

علي ان اتوقف لان الزورق ينتظر .

وداعاً يابني .. وداعاً يا «جني» حتى نلتقي ثانية !

شركة المنصور للطباعة المحدودة تلفون ٠٤١١٦٣١٥٣

السعر ٢٥٠ فلس

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ١٢٦٦ لسنة ١٩٨٧

شركة المنصور للطباعة المحدودة تلفون ٤١٦٣١٥٣